سلسلة بيان المنهج الصوفى فى الدعوة إلى الله تعالى (٣)

لا إله إلا الله
محمد رسول الله

سياحة روحية
فى منهج الصوفية

تأليف الشيخ / أحمد بن الشيخ / دفع الله الصائم ديمه

سلسـلة بيان المـنهج الصـوفى فى الدعـوة إلى الله تعـالى (3)

سـياحة روحـية
فى منهج الصوفية

تأليف فضيلة الشيخ
أحمد بن الشيخ/ دفع الله الصائم ديمه

الطبعة الأولى : 1428هـ / 2007م

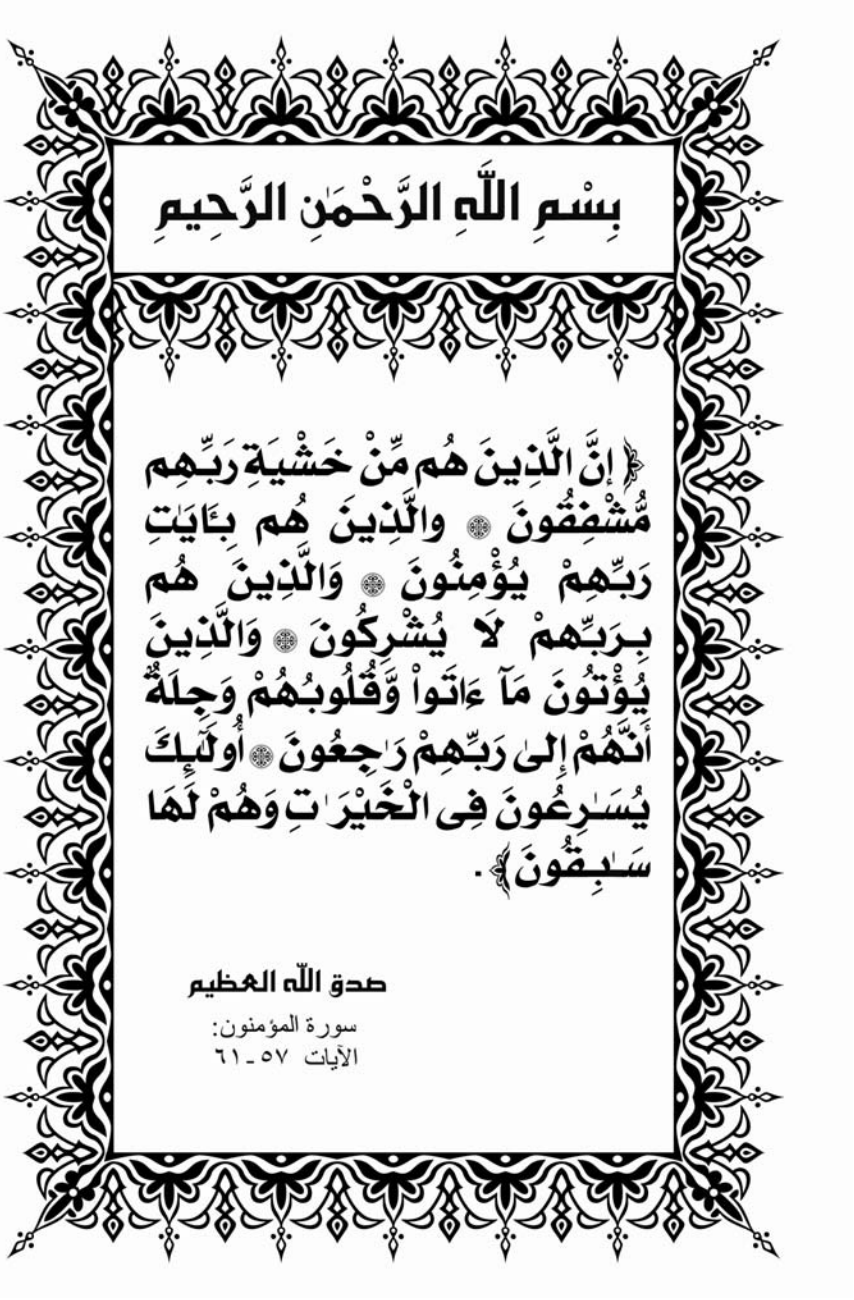
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۞ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۞ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى الْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ﴾ .
صدق الله العظيم
سورة المؤمنون:
الآيات ٥٧ - ٦١

إهـــــداء

يمتلئ قلبى سروراً وسعادة وتزداد روحى صفاءً وسمواً وتطيب نفسى وتقشعر جوارحى حين أهدى هذا الكتاب إلى مشكاة القلوب وسر الحقائق ومظهر الأنوار ومحل التجليات الإلهية حبيبى وقرة عينى سيدى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله ينظر إلى بنظرة شفقة وعفو فيجعلنى من خدام جنابه ويلبسنى ثوباً من مكارم أخلاقه ويسقينى شربة بكفه الشريفة عند حوضه بجوار أصحابه وآل بيته الطاهرين .

وإلـــــــى

محبى و سالكى طريقة الصوفية الذين ظهرت عليهم أنوار الشريعة والحقيقة . لاقتفائهم آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم .كيف لا وهم الذين هاموا فى محبته وتعلقت هممهم وأرواحهم بحضرته واستنارت قلوبهم وسمت واهتدت بسنته واستقامت جوارحهم وفقاً لمنهجه، ليعلموا أن طريقتهم أعظم الطرق الموصلة لحضرة المولى عزّ وجل فيزدادوا بذلك يقيناً وإيماناً .

وإلـــــــى

الذين يودون أن يعرفوا ما هو التصوف وما هى غايته وما هى ثمرة التمسك به وأين هو من السنة النبوية لتستنير بذلك أفئدتهم وتطيب نفوسهم وتتأسى بما فيه من المواعظ والرقائق والحكم وشمائل الأخلاق العظيمة .

المفتقر إلى الله تعالى

أحمد بن الشيخ/ دفع الله الصائم ديمه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله الذى أضاء الكون بنور جلاله، وعجزت العقول عن إدراك وصفه وكماله، وتحلت الصدور وتلألأت وأشرقت ببديع عظمته ومقاله، وعم خلقه وحفهم بغزير نعمته ونواله، سبحانه ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انتهاء، لا تدرك العقول كنه ذاته، أسأله أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه . وأحمده وأشكره تعالى على ما مَنَّ به علينا مِن النعم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى سائر إخوانه من الأنبياء، وعلى آل بيته الأتقياء وأصحابه الكرام الأصفياء . أما بعد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك)(1). ولكى يعرف الحق من الباطل فمن حق كل طائفة أن تبين للناس الأفكار والمفاهيم والمعتقدات التى تدعو إليها، فإن كانت موافقة للشرع القويم فهذا هو المراد، وإن كانت غير ذلك بُيِّنَ لهم فسادها ليتوبوا ويرجعوا عنها، أما أن تقلل تلك الطائفة من شأن طائفةٍ أخرى بالسب والشتائم والإساءات فهذا أبعد ما يكون عن تعاليم ديننا الحنيف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ) (2) وقال عليه الصـلاة والسلام : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) (3) . إنما المؤمنون الذين سلكوا مسلك السادة العلماء العاملين المخلصين فى إرشاد الناس وتوعيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجج الساطعة والبراهين الواضحة، بإنصاف من غير غلو أو تجريح .

ولقد ظهر فى زماننا هذا كثير من أدعياء العلم الذين يهاجمون أهل التصوف بأفظع العبارت التى لايجوز إطلاقها على مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فضلاً عن أهل العلم والمعرفة .

ولم يكن هذا غريباً فمنذ نشأة التصوف فى الصدر الأول من الإسلام لم يسلم أهله من الأعداء . وفى كل عصر من العصوركان العلماء يثنون على أهل التصوف ويمدحونهم وينصحون باتباع طريقتهم بدءاً من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب ومروراً بالمفسرين والحفاظ والفقهاء والمحدثين وغيرهم، وفى كل يوم يأتى يكتشف أعداء التصوف أن الصوفية على الحق وذلك من خلال المسائل التى كانوا يظنون أنهم أخطأوا فيها، ولا غرابة فى ذلك، فالتصوف علم وعمل وإخلاص، أى: تفقه فى الدين، واتباع لسنة سيد المرسلين، وإخلاص العبادة لرب العالمين والمتأمل يلاحظ أن الصوفية لا يهتمون كثيراً

---

(1) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الإمارة، عن ثوبان رضى الله عنه .
(2) أخرجه الترمذى فى سننه، كتاب البر والصلة، عن علقمة عن عبد الله رضى الله عنهما .
(3) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان، عن جابر رضى الله عنه . وأخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الإيمان، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما .

بإساءات المنكرين وطعن الطاعنين، وشعارهم فى ذلك قوله تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (1) وقوله تعالى : (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (2) فلا تكاد تجد أحداً منهم أساء لشخص أو تعرض لـه بذم بالرغم من الطعن والأذى الذى يجدونه من أعدائهم، اللهم إلا إن دعا الحال لإحقاق الحق فعندئذ يقيمون الحجة بالطريقة المثلى من غير تَشَدُّقٍ وَتَنَطُّعٍ وتكفيرٍ للآخرين .

وعندما كثر الإنكار على أهل التصوف كان حتماً على العلماء أن لا يكتفوا بالثناء على أهل التصوف، بل أن يبينوا للناس ما جهلوه عن التصوف، لذلك تولّى جماعة منهم تلك المهمة وألفوا فى هذا الشأن أضخم المؤلفات من حيث المعانى والحجم، ونذكر منهم فى هذه العجالة السراج الطوسى والحافظ أبا نعيم الأصفهانى والإمام القشيرى وحجة الإسلام الإمام الغزالى والسَّهْرِوَرْدى والحافظ السيوطى والإمام الشعرانى والعلامة النبهانى وغيرهم ممن لا يسع المجال لذكرهم.

وقد رأيت أن أحذو حذوهم وأبين بعضاً من جوانب التصوف التى خفيت على كثير من أهل زماننا، لذلك وضعت هذا الكتاب وسميته : (سياحة روحية فى منهج الصوفية) لعل الله عز وجل أن يرزقنى شيئاً من أخلاقهم حتى يأتينى اليقين، وفى هذا المؤلف جانب يسير فى التصوف، فهو لا يساوى قطرة من فيوضات الصوفية وعلومهم ومعارفهم . كيف لا وهم المقتفون لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع ما يصدر من أقواله وأفعاله الكاملة.

ولقد ظل منهج الصوفية أقرب الطرق الموصلة إلى حضرة المولى عز وجل، فأساسه الإخلاص والتقوى والصدق والزهد والورع والتوكل والمحبة والصبر والقناعة وحسن العبادة وحسن العمل وحسن معاشرة الخلق والرضاء والتسليم والاستقامة وجميع ما يقرب إلى الله تعالى، وبالجملة هو جميع ما دعت إليه السنة النبوية من الأخلاق الفاضلة والتحلى بالشمائل الكريمة .

والتصوف استمداداته من الكتاب الكريم والسنة المطهرة فى أعلى مراتب العبادة من باب الإحسان الذى قمته المشاهدة (أن تعبد الله كأنك تراه)، وهذا من أعظم ما يحتاجه المؤمن، فإذا لم تصح العقيدة ليكون المرء مخلصاً فى أداء ما فرض عليه يكون قد هدم أهم شروط الطاعة كما جاءت بذلك الآية : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (3) وقوله تعالى : (ألا لله الدين الخالص) (4) . وسنورد فى هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ماهى غاية التصوف ومايرمى

---

(1) سورة الأعراف، الآية رقم : 199 .
(2) سورة الفرقان، الآية رقم : 63 .
(3) سورة البينة، الآية رقم : 5 .
(4) سورة الزمر، الآية رقم : 3 .

إليه من إسعاد البشرية ونقلهم من ظلمات الضلال وأسر الشهوات إلى النور المبين الهادى إلى الصراط المستقيم .

وقد حاولت بقدر ما استطعت أن أعطى القارئ فكرة عامة أو شاملة عن المنهج العلمى للتصوف دونما إسهاب فى الخوض فى مسائل المنهج العملى (التطبيقى) وذلك لسببين :

الأول : لكى لا يحصل للقارئ خلط والتباس بينهما خاصة وأن هناك أمور متداخلة بعضها ببعض، وهذا التداخل فى كثير من الأحيان يحدث تشويشاً فكرياً على المطلع فيصعب عليه التركيز والاستيعاب فى تلقيه لموضوعات الكتاب .

والثانى : أننى خصصت رسالة كاملة ـ مخطوطة تحت الطبع ـ بعنوان : (التحقيق فى أفعال أهل الطريق)، تناولت فيها مجموعة من القضايا والأشياء المتعلقة بالمنهج العملى للتصوف، فمن أراد الوقوف على ذلك فليرجع إليها.

وأريد أن أنبه القارئ الكريم إلى أن النبذة التعريفية للأعلام الذين سوف أستدل بأقوالهم جمعتها فى آخر الكتاب تحت عنوان : (ملحق الأعلام) ليسهل الإطلاع عليها .

وإننى إذ أكتب هذا الكتاب لست بمعصوم فإن وجدتم فيه شيئاً من الخطأ فهو منى، وإن وجدتم إصابة فيه فهى توفيق وإنعام من الله علىَّ ورحمة منه بنا جميعاً، قال تعالى : (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)(1) فالمولى دأبه الخير والتوفيق والتيسير، وعادة النفس الخطأ والتقصير .

(إخوانى) لست أهلاً لأن أقف هذا الموقف لأننى أجهل الناس دراية للحقائق، وأعتقد أننى عبد مسخر لا غير، فهناك من هو أعلم وأفقه منى بمنهج الصوفية، ولكن دعتنى للكتابة محبتى لهؤلاء الرجال الذين أشعر بضآلتى أمامهم كضآلة الذرة أمام القمم الرواسى الشامخات، ودعانى تعلقى وتمسكى بهذا المنهج الذى كان ومازال أعظم وأكبر شعاع ممتد من السنة النبوية التى لا يبرح عنها أبداً، وقد خص الله أهل هذه الطائفة بأن جعل هداية قلوب خلقه على أيديهم بالإحسان والحكمة والموعظة الحسنة، وإطعام الجائع وكسوة العارى وإكرام الضيف، وحمل الكَلّ واليتيم والمسكين وابن السبيل، وكثير من مآثر الأخلاق التى يدعو إليها هذا المنهج . أسأل الله عز وجل أن يوفقنى لأداء هذه المهمة العظيمة بتأديتها على أحسن حال، وأن يتقبلها ويأخذ بيدى مما أنا فيه من رذائل الأقوال والأفعال إلى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه والتابعين لهم بإحسان إنه سميع مجيب .

المفتقر إلى الله تعالى

أحمد بن الشيخ/ دفع الله الصائم ديمه

---

(1) سورة النساء، الآية رقم : 79 .

الشريعة والطريقة والحقيقة

قال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) (1) . فى هذه الآية إشارة إلى الشريعة والطريقة والحقيقة، فأشار للشريعة بقوله : (موعظة من ربكم) لأن الشريعة بها تطهير الظواهر، وأشار إلى الطريقة بقوله : (وشفاء لما فى الصدور) لأن الطريقة بها تطهير البواطن عن كل ما لا ينبغى، وأشار للحقيقة بقوله : (وهدى ورحمة للمؤمنين) لأن بالحقيقة التجلى بالأنوار الساطعة فى القلوب التى يرى بها الأشياء على ما هى عليه، فعند ذلك يرى الله فى كل شئ، وأقرب إليه من كل شئ، علماً معنوياً ذوقياً لا علماً حسيّاً، فالحقيقة ثمرة الطريقة ولا تحصل إلا بعد التخلق بالطريقة والشريعة، ولذا قيل : حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة (2) (أى ناقصة) .

ولقد ورد فى حديث سيدنا جبريل عليه السلام المشهور الذى يرويه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، قال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال : صدقت . قال فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرنى عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرنى عن الإحسان . قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : ما المسؤل عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرنى عن أمارتها . قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان . قال : ثم انطلق، فلبثت ملياً ثم قال لى يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) (3) ورد فى هذا الحديث تقسيم الدين إلى ثلاث أركان، بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر : (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) .

1/ فركن الإسلام : هو الجانب العملى، من عبادات ومعاملات وأمور تعبدية، ومحله الأعضاء الظاهرة الجسمانية . وقد اصطلح العلماء على تسميته بالشريعة، واختص بدراسته السادة الفقهاء .

---

(1) سورة يونس، الآية رقم : 57 .
(2) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج1، ص193 . بتصرف .
(3) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان .

2/ وركن الإيمان : وهو الجانب الاعتقادى القلبى، من إيمان بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر... وقد اختص بدراسته السادة علماء التوحيد .
3/ وركن الإحسان : وهو الجانب الروحى والقلبى، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة، واختص ببحثه السادة الصوفية .

ولتوضيح الصلة بين الشريعة والحقيقة نضرب لذلك مثلاً الصلاة : فالإتيان بحركاتها وأعمالها الظاهرة، والتزام أركانها وشروطها، وغير ذلك مما ذكره علماء الفقه، يمثل جانب الشريعة، وهو جسد الصلاة . وحضور القلب (الخشوع) مع الله تعالى فى الصلاة يمثل جانب الحقيقة، وهو روح الصلاة .
فأعمال الصلاة البدنية هى جسدها، والخشوع روحها . وما فائدة الجسد بلا روح ؟! وكما أن الروح تحتاج إلى جسد تقوم فيه، فكذلك الجسد يحتاج إلى روح يقَوَّمْ بها، ولهذا قال الله تعالى : (أقيموا الصلاة وآتو الزكاة) (1) ولا تكون الإقامة إلا بجسد وروح، ولم يقل : أوجدوا الصلاة .
ومن هذا ندرك التلازم الوثيق بين الشريعة والحقيقة، وهذا توجيه الصوفية للناس، مقتفين بذلك أثر الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام (2) .
إن كثيرين يبقى إيمانهم فى حدود الأعمال الظاهرة والأقوال الظاهرة . لاحظ هذا الحديث الصحيح : (يأتى فى آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ....) (3) فههنا ظاهرة عبر عنها الحديث (لا يجاوز إيمانهم حناجرهم)، فهو لا ينتقل من الحناجر إلى القلب، أى لا يتجاوز الكلام إلى الفؤاد إنها ظاهرة مرضية تعنى انقطاع الإنسان عن السير فى دين الله ووقوفه عند المرحلة الأولى منه.... فإذا استطاع الإنسان أن يتجاوز هذه المرحلة فيصل عندئذ الإيمان إلى قلبه، فإن هذا الإيمان يزداد ويزداد حتى يصبح شعوراً بصفات الله عز وجل وأفعاله، عندئذ يصل الإنسان إلى مقام الإحسان الذى عَبَّرَ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (4) (5) .

---

(1) سورة البقرة، الآية رقم : 110 .
(2) حقائق عن التصوف، تأليف الشيخ عبد القادر عيسى، ص 473، 474 .
(3) أخرجه أبو داوود فى سننه، كتاب السنة، عن على رضى الله عنه .
(4) سبق تخريجه .
(5) تربيتنا الروحية، تأليف الشيخ سعيد حوى، ص27 .

وللوصول إلى هذا المقام الرفيع والإيمان الكامل، لابد من سلوك الطريقة، وهى مجاهدة النفس وتصعيد صفاتها الناقصة إلى صفات كاملة، والترقى فى مقامات الكمال بصحبة المرشدين، فهى الجسد الموصل من الشريعة إلى الحقيقة.
فالشريعة هى الأساس والطريقة هى الوسيلة والحقيقة هى الثمرة وهذه الأشياء الثلاثة متكاملة منسجمة، فمن تمسك بالأولى منها سلك الثانية فوصل إلى الثالثة، وليس بينها تعارض ولاتناقض ولذلك يقول الصوفية فى قواعدهم المشهورة : (كل حقيقة خالفت الشريعة فهى زندقة)، وكيف تخالف الحقيقة الشريعة وهى إنما نتجت من تطبيق الشريعة .
يقول الإمام مالك رضى الله عنه :
(من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق (1) ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق) (2) . تزندق الأول : لأنه نظر إلى الحقيقة مجردة عن الشريعة، فقال بالجبر (3) وأن الإنسان لا خيار له فى أمر من الأمور، فهو يتمثل فى قول القائل :

ألقاه فى اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

فعطل بذلك أحكام الشريعة والعمل بها، وأبطل حكمتها والنظر إليها .
وتفسق الثانى : لأنه لم يدخل قلبه نورالتقوى، وسر الإخلاص وواعظ المراقبة، وطريقة المحاسبة، حتى يُحْجَبَ عن المعصية ويتمسك بآداب السنة .
وتحقق الثالث : لأنه جمع أركان الدين الثلاث : الإسلام، والإيمان، والإحسان، التى اجتمعت فى حديث جبريل عليه السلام (4) .
ولقد كان الصحابة رضى الله عنهم أكثر الناس تمسكاً وتطبيقاً لهذا الحديث، فهم خير من جمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة بعد النبى صلى الله عليه وسلم، ويشهد على ذلك أنهم كانوا فى غاية الزهد والمجاهدة لأنفسهم ومحبة الله ورسوله والدار الآخرة والصبر والإيثار والرضاء والتسليم، وغير ذلك من الأخلاق التى يحبها الله ورسوله وتوصل إلى قربهما، وكما كانوا رضى الله عنهم على هذه الحالة الشريفة كان أتباعهم أيضا عليها، وإن كانوا دونهم فيها، وكذلك كان أتباع التابعين وهلم جرّا، إلى أن ظهرت البدع وتأخرت الأعمال وتنافس الناس فى الدنيا ونما هوى النفوس بعد موته فتأخرت

---

(1) الزنديق : الشاك أو ألضال أو الملحد، أنظر : المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الدكتور ابراهيم مدكور وآخرون، ج 1، ص 417 .
(2) حقائق عن التصوف، ص 476 .
(3) الجبرية : مذهب يرى أصحابه أن العباد مجبورون على أفعالهم لا اختيار لهم فيها – وهو مذهب ضال – المعجم الوسيط، ج 1، ص 111.
(4) حقائق عن التصوف، ص 476 .

بذلك أنوار القلوب ووقع ما وقع فى الدين وكادت الحقائق تنقلب، وكان ابتداء ذلك فى آواخر المائة الأولى من الهجرة، ولم يزل ذلك يزيد سنة بعد سنة إلى أن وصل ذلك إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على الدين، فعندئذٍ آل العلماء على أنفسهم أن يحفظوا هذا الدين الشريف، فقامت طائفة منهم لحفظ مقام الإسلام وضبط فروعه وقواعده، وقامت أخرى بحفظ مقام الإيمان وضبط أصوله وقواعده، وقامت أخرى بحفظ مقام الإحسان وضبط أعماله وأحواله، فكان من الطائفة الأولى الأئمة الأربعة وأتباعهم رضى الله عنهم . وقد تمسكوا بجوهر الإسلام وهو الإخلاص والعض بالنواجذ على السنّة الغراء وذلك ما يدعو إليه أهل التصوف فالأئمة وإن دوّنوا لنا الأحكام وبرعوا فيها واشتهروا بها فإن طريقتهم ومنهجهم فى معاملاتهم مع ربهم وخلقه هى صوفيةٌ خالصةٌ تجدها فى سيرتهم .

وكان من الطائفة الثانية الأشعرى (1) وأشياخه وأصحابه رضى الله عنهم . وكان من الطائفة الثالثة الجنيد وأشياخه وأصحابه رضى الله عنهم، فعلى هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة (2) وإنما نسبت إليه لتصديه لحفظ قواعدها وأصولها ودعائه للعمل بها عندما ظهر التأخر عنها وتصديه بالقول والفعل الحسن لمن حادوا عن الإلتزام الجاد بطريقها، والتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، ولهذا السبب نسب الفقه للأئمة الأربعة ونسبت العقائد للإمام الأشعرى ونسب التصوف للإمام الجنيد مع أن الجميع

---

(1) يجهل كثير من أبناء المسلمين مذهب الأشاعرة ولا يعرفون من هم الأشاعرة ولا طريقهم فى أمر العقيدة، فلا يمكن حصر العقيدة الأشعرية فى سطور قلائل، فالمسألة فيها تفصيل وبيان لأن عقيدة المسلم واسعة تشمل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . ولكل جانب من هذه العقائد للأشعرية أراء وأدلة . فجملة ما يقال عن العقيدة الأشعرية أن أصولهم هى أصول أهل السنة والتى تشمل : أ/ مصدرهم فى تلقى العقيدة الكتاب والسنة (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...) – النساء 65. ب/ إعتقادهم أن دين الإسلام كامل لا نقص فيه (اليوم أكملت لكم دينكم) – المائدة 3 . ج / الإيمان بكل ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من السنة الثابته دون تفريق بين المتواتر والآحاد ودون فرق بين مسائل الدين الإعتقادية والعملية . د/ كل ما دل عليه الكتاب والسنة موافق لصريح المعقول وأن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، فالقرءان قد دل على الأدلة العقلية وبيَّنها ونبَّه إليها (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) – الحشر 21، وفى هذا وجه الجمع بين العقل والنقل، فالعقل مصدر للتلقى فيما يتعلق بالإلهيات والنبوات وأما الأمور المتعلقة بالغيبيات كاليوم الآخر والقدر فمصدر التلقى فيها هو السمع، ولذا سموها بالمسائل السمعية . هـ/ نادى الأشاعرة بأن أفعال الله لا يجوز تعليلها بالعلل الغائية، وأن أفعال العبادة مخلوقة لله تعالى وهى من كسب العبد . ولا يسعنا المجال لإيراد كل العقيدة الأشعرية . ولكنا نقول إن مصنف هذه العقيدة ومستخلصها من الكتاب والسنة هو العلامة إمام المتكلمين على بن إسماعيل بن أبى بشر، وقد اشتهر بأبى الحسن الأشعرى نسبة لإنتماء نسبه إلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد أبو الحسن الأشعرى سنة 260هـ وجدير بالذكر أنه قد تتلمذ على الإمام الحارث بن أسد المحاسبى الصوفى المعروف . وتوفى سنة 330هـ . والأشاعرة : هم أئمة أعلام الهدى من علماء المسلمين الذين ملأ علمهم مشارق الأرض ومغاربها وأطبق الناس على فضلهم وعلمهم ودينهم، هم جهابذة علماء أهل السنة وأعلام علمائها الأفاضل الذين وقفوا فى طغيان المعتزلة . إنهم طوائف المحدثين والفقهاء والمفسرين من الأئمة الأعلام كشيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلانى وشيخ علماء أهل السنة الإمام النووى وشيخ المفسرين الإمام القرطبى وشيخ الإسلام ابن حجر الهيثمى وشيخ الفقه والحديث الإمام الحجة الثبت زكريا الأنصارى والإمام الفخر الرازى والإمام أبو بكر الباقلانى والإمام النسفى والإمام الشربينى وأبو حيان النحوى والإمام ابن جزى ....الخ كل هؤلاء من أئمة الأشاعرة. ولو أردنا أن نعدد هؤلاء الأعلام من المحدثين والمفسرين والفقهاء لضاق بنا المجال واحتجنا إلى مجلدات فى سرد أولئك العلماء الأفاضل أهـ . أنظر : كتاب الماتريدية دراسة وتقويماً، تصنيف الدكتور أحمد بن عوض الله الحربى، ص59، 75 – سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبى، ج15، ص85 – مفاهيم يحب أن تصحح، تأليف السيد محمد بن علوى، ص 111، 112 .

(2) أنظر : باب نشأة علم التصوف .

بوحى من الله تعالى (1) . وكما حفظ علماء الفقه حدود الشريعة وحفظ علماء العقيدة التوحيد، فكذلك حفظ علماء التصوف آداب الشريعة وروحها، وكما أبيح لعلماء الفقه الاجتهاد فى استنباط الأدلة واستخراج الحدود والفروع، والحكم بالتحليل والتحريم على ما لم يرد فيه نص، فكذلك للعارفين أن يستنبطوا آداباً ومناهج لتربية المريدين وتهذيب السالكين .

ولقد تحقق السلف الصالح والصوفية الصادقون بالعبودية الحقة والإسلام الصحيح، إذ جمعوا بين الشريعة والطريقة والحقيقة، فكانوا متشرعين متحققين، يهدون الناس إلى الصراط المستقيم . فالدين إن خلا من حقيقته جفت أصوله، وذوت أغصانه، وفسدت ثمرته .

(إيضاح) أما هؤلاء المعترضون على السادة الصوفية : إن كانوا ينكرون هذا التقسيم (شريعة، وطريقة، وحقيقة) على النحو الذى بيناه آنفاً، فهم لاشك يريدون بذلك أن يفصلوا روح الإسلام عن جسده، وأن يهدموا ركناً هاماً من أركان الدين الثلاثة الموضحة فى حديث جبريل عليه السلام، ويخالفوا علماء الإسلام وكبار فقهائه . وإن كان المعترضون يقرون فكرة التقسيم السالفة الذكر، ولكنهم ينكرون هذه التسمية . (الشريعة، والطريقة، والحقيقة) .

نقول لهم : هذا تعبير درج عليه العلماء، وجرى عليه الفقهاء وهو اصطلاح، ولامشاحة فى الاصطلاحات (2) .

والاصطلاحات ماهى إلا أدوات للمعانى ومما لا يختلف فيه اثنان أن الأدوات وسائل لأفعال وغايات، فالكوب أداة لفعل الشرب، ومن اشترى مسبحة يفهم منه مقصده بالتسبيح . وكذلك نقول إن الكلمات أوعية لمعانى ومفاهيم . فمن رأيتهم يتداولون نفس الكلمات فاعلم أن أفكارهم فى اتجاه واحد . ولهذا نجد أرباب الصنعة الواحدة يتداولون قاموساً واحداً من الألفاظ والتعابير لا تجده عند سواهم .

وعندما نجد الصوفية يكثرون الحديث عن الشريعة و الطريقة والحقيقة فإنهم لم يكونوا فى ذلك بمنأى عن المعانى التى وردت بها هذه التعابير فى القرءان الكريم والسنة النبوية الشريفة .

فإذا تناولنا كلمة الشريعة نجد قوله تعالى : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) (3) قال الإمام القرطبى فى تفسيره : أى على منهاج واضح من أمر الدين يشرع بك إلى الحق، وأورد قول ابن عباس أى على هدًى من الأمر (4) .

---

(1) الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام، للحافظ أبى الفضل عبد الله الصديق الغمارى، ص13. بتصرف .

(2) حقائق عن التصوف، ص477 . بتصرف .

(3) سورة الجاثية، الآية رقم : 18 .

(4) تفسير القرطبى، ج 16، ص 109 .

وجاء فى حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين : شريعة طريقة، الشريعة تطلق على مورد الناس من الماء وعلى المذهب والملة، والمراد هنا ما شرعه الله لعباده من الدين، سمى شريعة لأنه يقصد ويلجأ إليه كما يلجأ إلى الماء من العطش (1) .

أما كلمة الطريقة فقد ورد ذكرها فى القرءان الكريم فى أكثر من موضع، نأخذ مثلاً قوله تعالى : (أمثلهم طريقة) (2) أى أعدلهم رأياً (3)، وقوله تعالى : (وألّو استقاموا على الطريقة) (4) فالطريقة - يقصد بها - طريقة الحق والإيمان والهدى (5)، وفى حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين : أى طريقة الإسلام أى بالعمل بها وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات (6) .

فإذا تطرقنا إلى كلمة الحقيقة – التى وردت فى القرءان – وجدنا مثلاً قوله تعالى : (حقيق علي أن لا أقول على الله إلاّ الحق) (7) فحقيق تعنى جدير أو حريص أو واجب، والحق ضد الباطل كما أن الحقيقة ضد المجاز . فالحقيقة هى ما ثبت حدوثه على أصل وضعه، والمجاز ما عدل به عن صورته الحقيقية ، أى أن الحقيقة هى الأصل والمجاز هو صورة هذا الأصل وخياله . ومابين الأصل والصورة بون شاسع يستشف من الحديث التالى : روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن معاذاً دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (كيف أصبحت ؟) قال : أصبحت بالله مؤمناً . قال : (إن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ؟) قال : يا رسول الله ما أصبحت صباحاً قط إلاّ ظننت أنى لا أمسى، وما أمسيت مساءً قط إلاّ ظننت أنى لا أصبح، ولا خطوت خطوة إلاّ ظننت أنى لا أتبعها أخرى، وكأنى أنظر إلى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها ومعها نبيها وأوثانها التى كانت تعبدها من دون الله تعالى، وكأنى أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة . قال : (قد عرفت فالزم) (8) . فقول معاذ : (أصبحت مؤمناً) هذا هو المجاز، أى الإيمان الذى جاز لكل فرد أن يدعيه، أى هذه هى الصورة، أما قوله : (كأنى أنظر) فهذه هى حقيقة الإدعاء وأصل الصورة، أى هى معرفة عين اليقين التى أوتيها معاذ بسبب زهده وقصر أمله وعزوفه عن الدنيا، وذلك من باب قوله تعالى : (كلا لو تعلمون علم اليقين، لترون الجحيم، ثم لترونها عين اليقين) (9)، جاء فى حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين : علم اليقين هو إدراك الشئ

---

(1) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 4، ص 69 .
(2) سورة طه، الآية رقم : 104 .
(3) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 3، ص 65 .
(4) سورة الجن، الآية رقم : 16 .
(5) تفسير القرطبى، ج 19، ص 13 .
(6) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 4، ص 255 .
(7) سورة الأعراف، الآية رقم : 105 .
(8) شرح الجردانى على الأربعين حديثاً النووية، الحديث رقم : 18، ص 102 .
(9) سورة التكاثر، الآيات رقم : 5، 6، 7 .

من غير مشاهدة، وعين اليقين الرؤية التى هى العلم به مع المشاهدة، وأما حق اليقين فهو المشاهدة مع الملاصقة والممازجة (1) . وقال الإمام القرطبى : علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك ؛ وهو أن تتصور لك تارات القيامة وقطع مسافاتها (2) . وهذا ماعلمه سيدنا معاذ رضى الله عنه . أما قوله صلى الله عليه وسلم : (إن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة) فيعنى أن لكل دعوى أو قول فعلاً يصدقه وحقيقةً عينية تدعم هذا القول الحق . وهذا كقوله تعالى : (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته) (3)، أى أن يظهر ويبين الحق، فالحق هو حكم الله أزلاً بالإسلام وإحقاق هذا الحكم هو إظهاره فى دار الدنيا بإنزال كلماته، أى قرءانه . فالكلمات معانى لما استقر فى المشيئة الأزلية بالإسلام . وقال الإمام القرطبى : بكلماته أى بوعده (4) . إذاً ففى الحديث المذكور نجد إيمان سيدنا معاذ رضى الله عنه الذى استدل عليه بمشاهداته القلبية، أى تَرقِّى سيدنا معاذ رضى الله عنه إلى مقام الحقيقة والمشاهدة .

ونسبة لأن الإسلام لايفصل بين العلم والعمل، أى بين النظرية والتطبيق، فلا يفيد إسلام يخلو من إيمان وإحسان، كما لا يقبل إيمان وإحسان لايجريان على قواعد الشرع . وهذا هو سر التداخل بين معانى الشريعة والطريقة والحقيقة. فنجد كل من الشريعة والطريقة تفسر بالإسلام . ففى حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين وفى قوله تعالى : (يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) (5) قال العلامة الصاوى : أى طريقة أى الإسلام وهو الانقياد وطريقة الأعمال الصالحة، كالصلاة والصوم (6) . وجاء فى تفسير القرطبى لقوله تعالى : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) (7) الشِّرعة والشَّرِيعة الطَّرِيقة الظاهرة التى يتوصل بها إلى النجاة (8)، وجاء فى حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين : شرعة شريعة، ومنهاجاً طريقاً واضحاً فى الدين يمشون عليه، أى أحكاماً شرعها وبيَّنها للتعبد بها (9) . وعلى هذا التفسير تكون الشريعة هى المعادل للإسلام وظاهر الأحكام التى من اعترف بها عصم دمه ولا يُنْظَر فى نفاقه، بينما الطريقة هى تعادل الإيمان والتصديق القلبى الذى يشهد عليه العمل، فالإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل فالطريقة عند الصوفية هى السلوك العملى . والعمل هوالكيفية والتطبيق الفعلى الموصل لأداء الأحكام الشرعية، أى هو تنزيل الاعتقاد القلبى إلى واقع عملى،

---

(1) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 4، ص 349 .
(2) تفسير القرطبى، ج 20، ص 119 .
(3) سورة الأنفال، الآية رقم : 7 .
(4) تفسير القرطبى، ج 17، ص 235 .
(5) سورة الأحقاف، الآية رقم : 30 .
(6) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 4، ص 83 .
(7) سورة المائدة، الآية رقم : 48 .
(8) تفسير القرطبى، ج 6، ص 137 .
(9) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 1، ص 287 .

ولهذا جاء التفريق بين الإيمان والإسلام فى قوله تعالى : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) (1)، قال العلامة الصاوى : المنفِى هنا الإيمان بالقلب والمُثبَت الانقياد ظاهراً (2) . أما الحقيقة فهى المواهب اللدنية التى تفيض على قلوب العارفين بالله نتيجة مشاهدتهم بعين البصيرة، تلك المشاهدة التى هى فوق مقام الإيمان، والتى تمثل مقام الإحسان المشار إليه فى الحديث : (أن تعبد الله كأنك تراه) .

وخلاصة ما يقال فى هذا الشأن أن الصوفية لم يبتدعوا ألفاظاً ولا معانى غريبة عن تلك التى أوردها القرءان الكريم والسنة الشريفة . فأى تثريب على الصوفية إن قالوا : إعتقاد الدين هو الإسلام، والعمل بموجب هذا الاعتقاد هو الإيمان، ونتيجة الصفاء المتوصل إليه من هذا العمل هى الإحسان ؟ وماذا على الصوفية إن نزعوا نحو الترقى من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس إلى قمة مقام الإحسان الذى هو محط أنظارهم وغاية مبتغاهم ؟

(1) سورة الحجرات، الآية رقم : 14 .
(2) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين، ج 4، ص 114 .

تعريف التصوف

لقد بلغت تعاريف التصوف نحو ألفٍ مرجعها كلها صدق التوجه إلى الله تعالى، وهى تدور فى التمسك بآداب الشريعة وإخلاص العبودية لله تعالى، حكاها الحافظ أبونعيم الأصفهانى فى كتابه (حلية الأولياء) . وإن كانت الأقوال الآتية مختلفة فى اللفظ والمبنى، فهى متفقة فى الغاية والمعنى، وإنما عبر كل قائل بحسب مدركه ومشربه .

قال سيدى معروف الكرخى : (التصوف الأخذ بالحقائق (1) واليأس مما فى أيدى الخلائق) (2) .

وقال سيدى السرى السقطى : (التصوف اسم لثلاث معان : وهو الذى لا يُطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن فى علم ينقُضُه عليه ظاهر الكتاب والسنة، ولا تحمله الكرامات على هَتْكِ أستار محارم الله) (3) .

وقال سيدى أبو سعيد الخراز : (التصوف تمكين من الوقت) . أى لا إضاعة لشئ من الوقت دون طاعة لله (4) .

وسئل سيدى سمنون بن حمزة عن التصوف فقال : (أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شئ) . أى أن يكون العبد وما ملك ملكاً لسيده (5) .

وسئل سيدى عمرو بن عثمان المكى عن التصوف فقال : (أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى به فى الوقت) (6) .

وقال سيدى أبو الحسين النورى : (التصوف ترك كل حظ للنفس) (7) .

وقال سيدى الإمام أبو القاسم الجنيد : (التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع) . أى ذكر مع حضور القلب يثير الوجد فيبعثه ذلك على العمل والاتباع.

وقال أيضاً : (هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة) أى بلا غرض دنيوى دنئ ولا أخروى بل التوجه إلى الله خالصاً (8) .

وقال أيضاً : (ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات) (9) .

---

(1) أى التمسك والعمل بمقتضاها .
(2) الرسالة القشيرية، للإمام أبى القاسم عبد الكريم القشيرى، ص466 .
(3) المصدر السابق، ص52 .
(4) قواعد الأخلاق فى التصوف الإسلامى، تأليف الدكتور بكر السيد عبد الرزاق السامرائى ص31.
(5) الرسالة القشيرية، ص89 .
(6) المصدر السابق، ص465 .
(7) المصدر السابق، ص83 .
(8) قواعد الأخلاق، ص30 .
(9) الرسالة القشيرية، ص79 .

وسئل عن التصوف فقال : (تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدواعى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واتباع الرسول فى الشريعة) (1) . ولعل هذا أبلغ ما قيل فى التصوف والكشف عن حقيقته .

وسئل سيدى رويم عن التصوف فقال : (استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده)(2).

وقال أيضاً : (التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر والافتقار إلى الله تعالى، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والإختيار) (3) .

وقال سيدى الجريرى : (التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب) .

وقال أيضاً : (التصوف الدخول فى كل خُلق سنى، والخروج من كل خُلق دنئ) (4) .

وقال سيدى أبو بكر الكتانى : (التصوف خُلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء) (5) .

وقال سيدى أبو على الروذبارى : (التصوف الإناخة على باب الحبيب وإن طرد عنه) .

وقال أيضاً : (صفوة القرب بعد كدرة البعد) (6) .

وقال سيدى المزين : (التصوف الانقياد للحق) (7) .

وقال سيدى أبو بكر الشبلى : (التصوف الجلوس مع الله بلا هم) . أى ملازمة طاعة الله بلا غرض (8) .

وقال أيضاً : (التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك) (9) .

وقال سيدى عبد القادر الجيلانى : (التصوف الصدق مع الحق وحسن الخُلقِ مع الخَلقِ) (10) .

وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى : (التصوف تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية) (11) .

---

(1) الإعلام، ص 8 .
(2) الرسالة القشيرية، ص465 .
(3) المصدر السابق، ص 466 .
(4) قواعد الأخلاق، ص 31 .
(5) الرسالة القشيرية، ص 466 .
(6) المصدر السابق، ص 466، 467 .
(7) المصدر السابق، ص467 .
(8) قواعد الأخلاق، ص30 .
(9) الإعلام، ص 11 .
(10) قواعد الأخلاق، ص 32 .
(11) حقائق عن التصوف، ص 14 .

وقال سيدى أحمد زروق : (التصوف علمُ قصدٍ لإصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عما سواه) (1) .
وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى : (التصوف علمٌ تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن، لنيل السعادة الأبدية) (2) .
وقال صاحب كشف الظنون : (هو علم يعرف به كيفية ترقى أهل الكمال من النوع الإنسانى فى مدارج سعادتهم - إلى أن قال - :

عِلْمُ التَّصَوُّفِ عِلْمٌ لَيْسَ يَعْرِفُهُ إِلَّا أَخُو فِطْنَةٍ بِالحَقِّ مَعْرُوفُ
وَلَيْسَ يَعْرِفُهُ مَنْ لَيْسَ يَشْهَدُهُ وَكَيْفَ يَشْهَدُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مَكْفُوفُ) (3)

وقال سيدى أحمد بن عجيبة الحسنى : (واعلم أن هذا العلم الذى ذكرناه - يعنى التصوف - ليس هو اللقلقة باللسان وإنما هو أذواق ووجدان ولا يؤخذ من الأوراق وإنما يؤخذ من أهل الأذواق، وليس ينال بالقيل والقال، وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال، والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح) (4) .
ويتضح من كل هذه التعاريف أن التصوف هو مقام الإحسان الذى ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثه . ففى قوله صلى الله عليه وسلم عن الإحسان : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) يبين الرسول صلى الله عليه وسلم مقامى المشاهدة (كأنك تراه) والمراقبة (فإنه يراك)، هذا بالإضافة إلى التجرد لله فى العبادة وحسن الخلق . قال الإمام النووى فى شرحه لصحيح الإمام مسلم : هذا من جوامع الكلم التى أوتيها صلى الله عليه وسلم ، لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام فى عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت (5) واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلاّ أتى به، فقال صلى الله عليه وسلم أعبد الله فى جميع أحوالك كعبادتك فى حال العيان ..... فمقصود الكلام الحث على الإخلاص فى العبادة (6).
وقال القاضى عياض : وهذا الحديث (7) قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه (8) .

---

(1) المصدر السابق، ص 13 .
(2) المصدر السابق .
(3) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، للعلامة حاجى خليفة، ج1، ص 413، 414 .
(4) إيقاظ الهمم فى شرح الحكم، لابن عطاء السكندرى، ص 8 .
(5) السمت : الهيئة، انظر : المعجم الوسيط، ج 1، ص 464 .
(6) صحيح مسلم بشرح النووى، ج 1، ص 157 .
(7) الحديث بتمامه سبق تخريجه .
(8) صحيح مسلم بشرح النووى، ج 1، ص 158 .

ونقول إن مقصود القاضى عياض هو أن الحديث يشمل أعمال الإسلام الظاهرة من صوم وصلاة وباقى الأركان، وأعمال الإيمان الباطنة من توحيد واعتقاد، وأعمال السرائر وهى إخلاص العمل لله من الآفات . وهذه الأخيرة - أى تنقية السرائر من الآفات - هى مقام الإحسان ومجال التصوف . ونتحقق من ذلك إذا رجعنا لتعاريف التصوف عند رجال الصوفية . فهذه التعاريف والأقوال لاتخرج عن الدعوة إلى :

1/ المراقبة وتؤخذ من قوله عن الإحسان : (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (1) .

2/ التجرد إلى الله عز وجل بالعبودية الحقة وهذا هو مقام : (أن تعبد الله - وحده - الوارد فى شق الإحسان من الحديث) (2) .

3/ حسن الخلق، والإحسان هو عنوان السؤال : (فأخبرنى عن الإحسان)، ومن أحسن خلقاً ممن نحا نحو الإحسان واتبع أحسن ما دعى إليه، (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) (3) .

فيحق لنا بعد هذا أن نقول أن الصوفية يعملون على مقام الإحسان وأن التصوف هو مقام الإحسان الوارد فى الحديث الشريف .

ومهما يكن من أمرٍ فإن التصوف أشهر من أن يحتاج فى تعريفه إلى قياس لفظ واحتياج اشتقاق . وإنكار بعض الناس على هذا اللفظ بأنه لم يسمع فى عهد الصحابة مردود، إذ كثير من الاصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة واستعملت ولم تنكر كالنحو والفقه والمنطق والتجويد .

وعلى كل فإننا لا نهتم بالتعابير والألفاظ بقدر اهتمامنا بالحقائق والأسس، ونحن إذ ندعو إلى التصوف إنما نقصد به تزكية النفوس وصفاء القلوب وإصلاح الأخلاق والوصول إلى مراتب الإحسان، نحن نسمى ذلك تصوفاً، وإن شئت فسمه الجانب الروحى فى الإسلام، أو الجانب الإحسانى، أو الجانب الأخلاقى، أو سمه ما شئت مما يتفق مع حقيقته وجوهره، إلا أن علماء الأمة قد تَوارثوا اسم التصوف وحقيقته عن أسلافهم من المرشدين منذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا فصار عُرْفاً فيهم (4) .

---

(1) راجع قول كل من : الخراز، عمرو بن عثمان، الجريرى .
(2) راجع قول كل من : سمنون، النورى، الجنيد، الشاذلى .
(3) راجع قول كل من : الجنيد، الكتانى، الجيلانى .
(4) حقائق عن التصوف، ص 17، 18. بتصرف .

نشأة علم التصوف

قد يتساءل الكثيرون عن السبب فى عدم انتشار الدعوة إلى التصوف فى صدر الإسلام، وعدم ظهور هذه الدعوة إلا بعد عهد الصحابة والتابعين، والجواب عن هذا إنه لم تكن هنالك حاجة إليها فى العصر الأول، لأن أهل هذا العصر كانوا أهل تقوى وورع وأرباب مجاهدة وإقبال على العبادة بطبيعتهم وبحكم قرب اتصالهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يتسابقون ويتبادرون فى الاقتداء به فى ذلك كله، فلم يكن ثمة ما يدعو إلى تلقيهم علماً يرشدهم إلى أمْرٍ هُم قائمون به فعلاً، وإنما مثلهم فى ذلك كله كمثل العربى القُحَّ (1) يعرف اللغة العربية بالتوارث كابراً عن كابر، حتى إنه ليقرض الشعر البليغ بالسليقة (2) والفطرة دون أن يعرف شيئاً عن قواعد اللغة والإعراب والنظم والقريض (3)، فمثل هذا لا يلزمه أن يتعلم النحو ودروس البلاغة، ولكن علم النحو وقواعد اللغة والشعر تصبح لازمة وضرورية عند تفشى اللحن وضعف التعبير، أو لمن يريد من الأجانب أن يتفهمها ويتعرف عليها، أو عندما يصبح هذا العلم ضرورة من ضرورات الاجتماع كبقية العلوم التى نشأت وتألفت على توالى العصور فى أوقاتها المناسبة .

فالصحابة والتابعون وإن لم يتسموا بإسم الصوفية كانوا (صوفيين) فعلاً وإن لم يكونوا كذلك اسماً، وماذا يراد بالتصوف أكثر من أن يعيش المرء لربه لا لنفسه، ويتحلى بالزهد وملازمة العبودية، والإقبال على الله بالروح والقلب فى جميع الأوقات وسائر الكمالات، التى وصل بها الصحابة والتابعون من حيث الرقى الروحى إلى أسمى الدرجات، فهم لم يكتفوا بالإقرار فى عقائد الإيمان، والقيام بفروض الإسلام، بل قرنوا الإقرار بالتذوق والوجدان، وزادوا على الفروض الإتيان بكل ما استحبه الرسول الله صلى الله عليه وسلم من نوافل العبادات، وابتعدوا عن المكروهات فضلاً عن المحرمات، حتى استنارت بصائرهم، وتفجرت ينابيع الحكمة فى قلوبهم وفاضت الأسرار الربانية على جوانبهم . وكذلك كان شأن التابعين وتابعى التابعين، وهذه العصور الثلاثة كانت أزهى عصور الإسلام وخيرها على الإطلاق، وقد جاء عن رسول صلى الله عليه وسلم قوله : (خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (4) .

---

(1) القُحِّ : المحض أو الخالص فى فطرته العربية، أنظر : مختار الصحاح، تأليف محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى، ص 522 .

(2) السليقة : الطبيعة والسجية، أنظر : لسان العرب، تأليف ابن منظور جمال الدين محمد مكرم الأنصارى، ج 12، ص 26 .

(3) القريض : الشعر، أنظر : مختار الصحاح، ص 529 .

(4) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، عن ابن مسعود رضى الله عنه .

فلما تقادم العهد ودخل فى حظيرة الإسلام أمم شتى، وأجناس عديدة واتسعت دائرة العلوم وتقسمت وتوزعت بين أرباب الاختصاص، قام كل فريق بتدوين الفن والعلم الذى يجيده أكثر من غيره فنشأ بعد تدوين النحو فى الصدر الأول علم الفقه، وعلم التوحيد، وعلوم الحديث، وأصول الدين، والتفسير، والمنطق، ومصطلح الحديث، وعلم الأصول، والفرائض (الميراث) وغيرها...

وحدث بعد هذه الفترة أن أخذ التأثير الروحى يتضاءل شيئاً فشيئاً وأخذ الناس يتناسون ضرورة الإقبال على الله بالعبودية، وبالقلب والهمة، مما دعا أرباب المجاهدة والزهد إلى أن يعملوا هم من ناحيتهم أيضا على تدوين علم التصوف، وإثبات شرفه وجلاله وفضله من بين سائر العلوم، ولم يكن ذلك منهم احتجاجاً على انصراف الطوائف الأخرى إلى تدوين علومهم - كما يظن ذلك خطأ بعض المستشرقين - بل كان سداً للنقص، واستكمالاً لحاجات الدين فى جميع نواحى النشاط، مما لابد منه لحصول التعاون على تمهيد أسباب البر والتقوى . وقد بنى أئمة الصوفية الأولون أصول طريقتهم على ما ثبت فى تاريخ الإسلام نقلاً عن الثقاة الأعلام (1) .

ولو رجعنا إلى النقطة التى ذكرنا فيها أن الصحابة والتابعين وإن لم يتسموا باسم الصوفية إلاَّ أنهم كانوا صوفيين فعلاً، فنجد أنهم كانوا فقهاءً ولم يتسموا بالفقه، وكانوا رواة لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينسب إليهم علم الحديث كما نسب إلى من جاء من بعدهم فى العصور المتأخرة، إلى غير ذلك من العلوم التى نشأت بعد عهد الصحابة والتابعين كالنحو والتجويد والمنطق وغيرها .

فما استحدثه التابعون من بعد الصحابة رضى الله عنهم من علوم الدين كالفقه والتفسير والتصوف إنما أصولها ومنبعها الأساسى القرءان الكريم والسنة النبوية الشريفة . فإن كان علم الفقه يراد به معرفة العبادات والمعاملات، ألم يكن الصحابة رضى الله عنهم أهل عبادة وذكر ؟ فهل ياترى كانوا يعبدون الله ويذكرونه أو يعاملون الخلق فى تجارتهم ومعاشهم بلا معرفة منهم لفقه العبادات والمعاملات ؟

أما عن علم التفسير فنقول فيهم نزل قوله تعالى : (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُمًّا وعميانا) (2) وذلك لأنهم فتحوا قلوبهم وآذانهم للذكر الحكيم . أفلم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يتدارسون معانى القرءان ؟ بلى، لقد كانوا أعلم الناس بناسخه ومنسوخه، وأعلمهم بأسباب النزول وعلوم القراءات، نقول علوم القراءات لأن الصحابى كان يستدل على صحة قراءته بقوله : (أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم) (3) .

---

(1) حقائق عن التصوف، ص 19، 20، 21، 22 .

(2) سورة الفرقان، الآية رقم : 73 .

(3) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب أنزل القرءان على سبعة أحرف، عن عروة ابن الزبير رضى الله عنهما .

وأما عن علم التصوف عملاً وتطبيقاً فيكفى أن أحدهم كان يزهد فى كل ما يشغله عن ذكر الله فيهب بستانه لله ويربح بيعه ربح أبى طلحة . فكانوا أهل عزوف عن ملذات الحياة، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، لا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون - وهؤلاء هم أهل التجريد والتوكل والانقطاع إلى الله، ومنهم من لاتلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله - وهؤلاء هم أهل الأسباب والاكتساب، وفى كلٍ خير . وعن الصحابة أخذ التابعون العلم بالمهلكات والمنجيات وأخذوا السلوك برقائق الدين التى كانت ترقى أرواحهم وتصفى قلوبهم وتكسبهم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم . فهل قَصَّرت همة الصحابة عن مقام الإحسان الذى هو التصوف بعينه ؟

فإن كان الصحابة رضوان الله عليهم ليسوا بفقهاء ولا محدثين ولا مفسرين لكتاب الله ولا صوفية فى سلوكهم فما على الأرض من فقيه ولا محدث ولا مفسر ولا صوفى . لأن الصحابة هم كانوا حملة هذه العلوم التى أخذوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(فإن قيل) من هو أول من أسس التصوف وهل هو بوحى سماوى ؟ (فالجواب) كما ذكره الإمام الحافظ السيد محمد الصديق الغمارى رحمه الله تعالى .

حيث قال : أما أول من أسس الطريقة - أى التصوف - فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحى السماوى فى جملة ما أسس من الدين المحمدى، إذ هى بلا شك مقام الإحسان الذى هو أحد أركان الدين الثلاثة التى جعلها النبى صلى الله عليه وسلم بعد مابينها واحداً واحداً ديناً بقوله : (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) (1). وهو الإسلام والإيمان والإحسان.

فالإسلام طاعة وعبادة، والإيمان نور وعقيدة، والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

ثم قال : فإنه كما فى الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة ... إلى أن قال : فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان - كركن من أركان الدين - بعد تصحيح الإسلام والإيمان (2) .

وقال ابن خلدون فى مقدمته : (هذا العلم - يعنى التصوف - من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة . وكان ذلك عامّاً فى الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا من القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة) (3) .

---

(1) الحديث بتمامه سبق تخريجه .
(2) أنظر : حقائق عن التصوف، ص 22، 23 .
(3) مقدمة ابن خلدون، ص381 .

ويعنينا من عبارة ابن خلدون الفقرة الأخيرة التى يقرر فيها أن ظهور التصوف والصوفية كان نتيجة جنوح الناس إلى مخالطة الدنيا وأهلها فى القرن الثانى للهجرة، فإن ذلك من شأنه أن يتخذ المقبلون على العبادة اسماً يميزهم عن الناس الذين ألهتهم الحياة الفانية .

وقد أثر عن الإمام الحسن البصرى استعمال لفظ (صوفى) كمصطلح علمى، وكتسمية تنازع الناس فى تأصيلها، وتنطع المتنطعون بزعم أنها لم تعرف على عهد السلف، واتخذوا من ذلك ذريعة لإنكار التصوف والصوفية، مع أن الإمام الحسن البصرى - الذى عاش جل عمره فى القرن الأول (الهجرى) وعاصر كبار الصحابة فقد ولد لسنتين بقيتا فى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب، وترعرع فى بيت النبوة حيث نشأ فى كنف السيدة أم سلمة - زوج النبى صلى الله عليه وسلم - التى أرضعته، بل إنه شارك الصحابة فى جمع القرآن الكريم وهذا شرف لا يدانيه شرف - روى عنه صاحب (عوارف المعارف) أنه قال : (رأيت صوفياً فى الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال : معى أربع دوانيق، يكفينى ما معى) (1). هذا النص يؤكد لنا أن اسم الصوفية كان موجوداً فى عصر التابعين بينما اشتهر فى القرن الثانى (الهجرى) ومن ثم يتأصل استعمال لفظ (صوفى) على عهد السلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين . أضف إلى ذلك ما روى عن سفيان الثورى أنه قال : (لولا أبو هاشم الصوفى ما عرفت دقيق الرياء) (2) وأبو هاشم هذا توفى سنة (خمسين ومائة هجرى) .

ويعضد ذلك (ما ذكره الكندى - وكان من أهل القرن الرابع - فى كتاب ولاة مصر فى حوادث سنة المائتين : أنه ظهر بالاسكندرية طائفة يُسمَّوْنَ بالصوفية يأمرون بالمعروف . وكذلك ما ذكره المسعودى فى مروج الذهب حاكياً عن يحى بن أكثم فقال : إن المأمون يوماً لجالس إذ دخل عليه على ابن صالح الحاجب، فقال يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب، عليه ثياب بيض غلاظ، يطلب الدخول للمناظرة، فعلمت أنه بعض الصوفية) (3) .

من هذه النصوص السابقة يتبين لنا أن التصوف ليس أمراً مستحدثاً جديداً فهو مأخوذ من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة الصحابة الكرام . فهو كما قال محمد بن على القصاب - وهو أستاذ الشيخ الجنيد حين سئل عن التصوف - : (أخلاق كريمة، ظهرت فى زمن كريم، من رجل كريم، مع قوم كرام) (4) .

---

(1) عوارف المعارف، تأليف شهاب الدين أبو حفص عمر السَّهْرِوَرْدِى، ص 64 .
(2) المصدر السابق .
(3) حقائق عن التصوف، ص 24 .
(4) اللمع فى تاريخ التصوف الإسلامى،تأليف أبى نصر عبد الله بن على السراج الطوسى، ص 26.

أهمية التصوف

إن التكاليف الشرعية التى أمر بها الإنسان فى خاصة نفسه ترجع إلى قسمين : أحكام تتعلق بالأعمال الظاهرة، وأحكام تتعلق بالأعمال الباطنة، أو بعبارة أخرى : أحكام تتعلق ببدن الإنسان وجسمه وأعمال تتعلق بقلبه، فالأعمال الجسمية نوعان : أوامر ونواهى، فالأوامر الإلهية هى كالصلاة والزكاة والحج ...وأما النواهى : كالقتل والزنى والسرقة وشرب الخمر.....

أما الأعمال القلبية فهى أيضاً أوامر ونواهى، أما الأوامر فكالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله .... وكالإخلاص والرضا والصدق والخشوع والتوكل .... وأما النواهى : فكالكفر والنفاق والكبر والعجب والرياء والغرور والحقد والحسد . وهذا القسم الثانى المتعلق بالقلب أهم من القسم الأول عند الشارع - وإن كان الكل مهماً - لأن الباطن أساس الظاهر ومصدره، وأعماله مبدأ أعمال الظاهر ففى فساده إخلال بقية الأعمال الظاهرة، وفى ذلك قال تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً) (1) .

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه اهتمام الصحابة لإصلاح قلوبهم، ويبين لهم أن صلاح الإنسان متوقف على إصلاح قلبه وشفائه من الأمراض الخفية والعلل الكامنة وهو الذى يقول : (ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب) (2) . مشيراً صلى الله عليه وسلم إلى أن صلاح جميع الأعضاء لا يكون إلا بصلاح القلب، فإما أن يكون مصدراً للصفاء والإخلاص، وإما أن يكون مصدراً للآفات والأكدار .

كما كان عليه الصلاة والسلام يعْلِمُهُمْ أن محل نظر الله تعالى إلى عباده إنما هو القلب : (إن الله لاينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم) (3) .

فما دام صلاح الإنسان مربوطاً بصلاح قلبه الذى هو مصدر أعماله الظاهرة تعين عليه العمل على إصلاحه بتخليته من الصفات المذمومة التى نهانا الله عنها، وتحليته بالصفات الحسنة التى أمرنا الله بها، وعندئذ يكون القلب سليماً صحيحاً ويكون صاحبه من الفائزين الناجين (يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم) (4) .

فتنقية القلب وتهذيب النفس من أهم الفرائض العينية وأوجب الأوامر الإلهية، بدليل ما ورد فى الكتاب والسنة .

---

(1) سورة الكهف، الآية رقم : 110 .

(2) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الإيمان، عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما . وأخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب المساقاة، عن النعمان بن بشير أيضاً .

(3) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب البر والصلة، عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(4) سورة الشعراء، الآيتان رقم : 88، 89 .

أ- فمن الكتاب :

1/قوله تعالى : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (1) .
2/ وقوله تعالى : (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (2) .
3/ وقوله تعالى : (وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون) (3) .
وكما أن القلب مصدر للصفاء والإخلاص والتقوى ....فهو أيضاً مصدر للكفر والنفاق والآفات قال تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) (4) .
وقال تعالى : (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءآذانٌ لا يسمعون بها) (5) فالقلوب عليها المدار وهى المراكز التى تدور حولها بقية الأعضاء، فإذا كان المركز صالحاً دارت الأعضاء على الصلاح واستقامت وإذا لم يكن صالحاً دارت الأعضاء على الفساد وانحرفت قال تعالى : (إن فى ذلك لذكرى لمن كان لـه قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (6) .

ب- ومن السُّنة :

1/كل الأحاديث التى وردت فى النهى عن الحقد والكبر والرياء والحسد ... وأيضاً الأحاديث الآمرة بالتحلى بالأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة فلتراجع فى مواضعها .
2/والحديث (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) (7) .
فكمال الإيمان بكمال هذه الشعب والتحلى بها، وزيادته بزيادة هذه الصفات، ونقصه بنقصها، وإن الأمراض الباطنة كافية لإحباط أعمال الإنسان ولو كانت كثيرة .
فكما لا يحسن بالمرء أن يظهر أمام الناس بثياب ملطخة بالأقذار والأدران، لا يليق به أن يترك قلبه مريضاً بالعلل الخفية وهو محل نظر الله سبحانه وتعالى :

تُطَيِّبُ جسمَكَ الفانى لِيبقَى وتَتْرُكُ قلبَك الباقى مريضاً

لأن الأمراض القلبية سبب بعد العبد عن الله تعالى، وبعده عن جنته الخالدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر) (8).

---

(1) سورة الأعراف، الآية رقم : 33 .
(2) سورة الأنعام، الآية رقم : 151 .
(3) سورة الأنعام، الآية رقم : 120 .
(4) سورة البقرة، الآية رقم : 74 .
(5) سورة الأعراف، الآية رقم : 179 .
(6) سورة ق، الآية رقم : 37 .
(7) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان، عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(8) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان، عن ابن مسعود رضى الله عنه .

وعلى هذا فسلامة الإنسان فى آخرته هى فى سلامة قلبه، ونجاته من أمراضه المذكورة .

وقد تخفى على الإنسان بعض عيوب نفسه، وتدق عليه علل قلبه، فيعتقد فى نفسه الكمال وهو أبعد مايكون عنه، فما السبيل إلى اكتشاف أمراضه، والتعرف على دقائق علل قلبه ؟ وما الطريق العلمى إلى معالجة هذه الأمراض، والتخلص منها ؟ إن التصوف هو الذى اختص بمعالجة الأمراض القلبية، وتزكية النفس والتخلص من صفاتها الناقصة .

وأما تحلية النفس بالصفات الكاملة، كالتوبة والتقوى والاستقامة والصدق والإخلاص والزهد والورع والتوكل والرضاء والتسليم والأدب والمحبة والذكر والمراقبة ... فللصوفية فى ذلك الحظ الأوفر من الوراثة النبوية، فى العلم والعمل .

قد رفضوا الآثامَ والعُيوبا وطَهَّروا الأبدانَ والقلوبا
وبلَغوا حقيقةَ الإيمانِ وانْتَهَجوا مناهِجَ الإحسانِ

فالتصوف هو الذى اهتم بهذا الجانب القلبى بالإضافة إلى ما يقابله من العبادات البدنية، ورسم الطريق العلمى الذى يوصل المسلم إلى أعلى درجات الكمال الإيمانى والخلقى، وليس - كما يظن بعض الناس - قراءة أوراد وحلق أذكار فحسب .

ليس التصوفُ لبسَ الصوفِ تُرقِّعُهُ ولا بكاؤك إنْ غنَّى المُغنونا
ولاصياحٌ ولارقصٌ ولاطربٌ ولا اختباطٌ كأنْ قد صِرتَ مجنونا (1)
بل التصوفُ أنْ تصفو بِلا كَدَرٍ (2) وتتبع الحقَّ والقرآنَ والدِّينا
وأن تُرَى خاشعاً لله مُكْتَئِباً على ذنوبِكَ طولَ الدَّهْرِ مَحْزُونا

فلقد غاب عن أذهان الكثيرين أن التصوف منهج علمى كامل يحقق انقلاب الإنسان من شخصية منحرفة إلى شخصية مسلمة مثالية متكاملة، وذلك من الناحية الإيمانية السليمة والعبادة الخالصة والمعاملة الصحيحة الحسنة والأخلاق الفاضلة .

من هنا تظهر أهمية التصوف وفائدته، ومنزلته فى تكوين الشخصية المسلمة المتكاملة، وأنه التطبيق العملى للإسلام وأنه يهتم بإصلاح ظاهر العبد وعمارة باطنه، وتقويم خلقه، وتصحيح عباداته ومعاملاته....(3)، ويتجلى لنا بوضوح، أنه روح الإسلام وقلبه النابض، إذ ليس هذا الدين أعمالاً ظاهرية وأموراً شكلية فحسب لاروح فيها ولاحياة .

---

(1) أى ليست هذه الأفعال هى أساس التصوف وقوامه .
(2) أى صفاء القلب عن كل ما سوى الله .
(3) حقائق عن التصوف، ص 26، 34 . بتصرف .

وما وصل المسلمون إلى هذا الدرك من الانحطاط والضعف إلاحين فقدوا روح الإسلام وجوهره، ولم يبق فيهم إلاشبحه ومظاهره، فالصوفية لا يكتفون بأن يوضحوا للناس أحكام الشرع وآدابه بمجرد الكلام النظرى، ولكنهم بالإضافة إلى ذلك يأخذون بيد تلميذهم ويسيرون به فى مدارج الترقى، ويرافقونه فى جميع مراحل سيره إلى الله تعالى، يحيطونه برعايتهم وعنايتهم، ويشملونه بعطفهم وحنانهم، ويوجهونه بحالهم ومقالهم، وينهضون به بعلو همتهم وعظيم صدقهم، يذكرونه إذا نسى، ويقومونه إذا انحرف، ويتفقدونه إذا غاب، وينشطونه إذا فتر ...وهكذا يرسمون لـه المنهج العملى الذى يمكنه به أن يتحقق بأركان الدين الثلاثة، الإسلام والإيمان والإحسان (1) . لهذا نرى العلماء العاملين والمرشدين الغيورين ينصحون الناس بالدخول مع الصوفية والتزام محبتهم كى يجمعوا بين جسم الإسلام وروحه، وليتذوقوا معانى الصفاء القلبى والسمو الخلقى، وليتحققوا بالتعرف على الله تعالى المعرفة اليقينية، فيتحلوا بحبه ومراقبته ودوام ذكره .

ولمَاَّ كان هذا الطريق صعب المسالك على النفوس الناقصة، فعلى الإنسان أن يجتازه بعزم وصبر ومجاهدة، حتى ينقذ نفسه من سخط الله وغضبه .

قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه : (عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السـالكين، وإياك وطريق الباطل، ولاتغتر بكثرة الهـالكين . وكلما استوحشت من تفردك فانظر إلى الرفيق السابق (2)، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عن سواهم (3)، فإنهم لن يغنوا عنك من الله تعالى شيئاً، وإذا صاحوا بك فى طريق سيرك فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك) (4) .

---

(1) المصدر السابق، ص 39 . بتصرف .
(2) أى السلف الصالح نفعنا الله بهم .
(3) أى من لم يتخلق بأخلاقهم .
(4) حقائق عن التصوف، ص35، 36 . بتصرف .

أقوال الأئمة الأربعة فى الثناءعلى التصوف والصوفية

هناك بعض النفوس التى قد عميت عن رؤية النور، وتجاهلت حقائق الإسلام وحكمت على الصوفية من خلال أعمال بعض المنحرفين والمبتدعين من أدعياء التصوف دون تبيُّنٍ وتمحيص، فإلى هؤلاء وإلى كل جاهل بحقيقة التصوف نسوق هذه الأقوال، كى يدركوا أثر التصوف وضرورته لإحياء القلوب وتهذيب النفوس، وكى يطلعوا على ثمرات التصوف ونتائجه فى انتشار الإسلام فى مختلف الديار وشتى الأمصار (1) .

1/ الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه :

لقد كان علماء الشريعة الإسلامية من الفقهاء والمُحَدِّثين يسيرون على أثر الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، فيجمعون بين الشريعة والطريقة والحقيقة، ويؤدون العبادات العملية متحققين بسر الإخلاص فيها متذوقين حلاوتها، مدركين أسرارها، وقد كانت لهم مجاهدات لتهذيب نفوسهم وإصلاح قلوبهم، ولما تحلوا به من صلاح وتقوى ومعرفة نالوا هذه المراتب العلمية، ومنحهم الله تعالى هذا الفهم لكتابه والتعمق فى شرعه، ونفع الله الأمة بعلومهم على مر السنين والأيام، فكأنهم أحياء بآثارهم الخالدة وجهودهم العلمية المباركة .

نقل الفقيه الحنفى الحصكفى صاحب الدر : أن أبا على الدقاق رحمه الله تعالى قال : أنا أخذت هذه الطريقة من أبى القاسم النصراباذى، وقال أبو القاسم أنا أخذتها من الشبلى، وهو من السرى السقطى، وهو من معروف الكرخى، وهو من داؤود الطائى، وهو أخذ العلم والطريقة من أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه، وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله (2) .

وبهذا يتضح لنا أن الإمام أبا حنيفة شأنه شأن الأولين قد ظهر التصوف سلوكاً فى حاله ولم يظهر لفظاً فى مقاله . فقد وصفوه بالتقوى والزهد والورع وغير ذلك من صفات أهل التصوف، وعنه أخذ أعلام الصوفية السابق ذكرهم .

ثم قال صاحب الدر معلقاً : (فيا عجباً لك يا أخى ! ألم يكن لك أسوة حسنة فى هؤلاء السادات الكبار ؟ أكانوا متهمين فى هذا الإقرار والافتخار، وهم أئمة هذه الطريقة وأرباب الشريعة والحقيقة ؟ ومن بعدهم فى هذا الأمر فلهم تبع، وكل ماخالف ما اعتمدوه مردود مبتدع) . ولعلك تستغرب عندما تسمع أن الإمام الكبير، أباحنيفة النعمان رضى الله عنه، يعطى الطريقة لأمثال هؤلاء الأكابر من الأولياء والصالحين من الصوفية !

---

(1) المصدر السابق، ص 565 . بتصرف .
(2) المصدر السابق، ص 490، 491 .

فهلا تأسى الفقهاء بهذا الإمام، فساروا على نهجه، وجمعوا بين الشريعة والحقيقة، لينفع الله بعلمهم . كما نفع بإمامهم الأعظم، الإمام الكبير، معدن التقوى والورع أبى حنيفة رضى الله عنه .

يقول ابن عابدين رحمه الله تعالى فى حاشيته متحدثاً عن أبى حنيفة تعليقاً على كلام صاحب الدر الآنف الذكر : (هو فارس هذا الميدان، فإن مبنى علم الحقيقة على العلم والعمل وتصفية النفس، وقد وصفه بذلك عامة السلف فقال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى حقه : إنه كان من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لايدركه أحد، لقد ضرب بالسياط لِيَلِى القضاء، فلم يفعل . وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى : ليس أحد أحق من أن يقتدى به من أبى حنيفة، لأنه كان إماماً تقياً نقياً ورعاً عالماً فقيهاً، كشف العلم كشفاً لم يكشفه أحد، ببصر وفهم وفطنة وتقى . وقال الثورى لمن قال له : جئت من عند أبى حنيفة : لقد جئت من عند أعبد أهل الأرض) (1). وروى الربيع عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه قال : (الناس عيال فى الفقه على أبى حنيفة، ما رأيت - أى ما علمت - أحداً أفقه منه، لأنه لم يدرك أحداً أفقه منه) . ويروى الخطيب عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه قال : (قيل لمالك رحمه الله : هل رأيت أبا حنيفة رحمه الله ؟ قال نعم رأيته رجلاً لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته) (2) .

ومن هذا نعلم أن الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين هم الصوفية حقيقة .

فإن قال قائل : لو أن طريق التصوف أمر مشروع، لوضع فيه الأئمة المجتهدين كتباً، ولا نرى لهم قط كتاباً فى ذلك ؟

يجيب الشعرانى رحمه الله تعالى على هذا فيقول : (إنما لم يضع المجتهدون فى ذلك كتاباً لقلة الأمراض فى أهل عصرهم وكثرة سلامتهم من الرياء والنفاق . ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من ذلك . فكان ذلك من بعض أناس قليلين، لا يكاد يظهر لهم عيب . وكان معظم همة المجتهدين إذ ذاك إنما هو فى جمع الأدلة المنتشرة فى المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم، التى هى مادة كل علم وبها يعرف موازين جميع الأحكام فكان ذلك أهم من الانشغال بمناقشة بعض أناس فى أعمالهم القلبية التى لا يظهر بها شعار الدين، وقد لا يقعون بها فى حكم الأصل . ولا يقول عاقل قط : إن مثل الإمام أبى حنيفة أو مالك أو الشافعى أو أحمد رضى الله عنهم، يعلم أحدهم من نفسه رياءً أو عجباً أوكبراً أوحسداً أو نفاقاً ثم لا يجاهد نفسه ولا يناقشها أبداً ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والأمراض لقدموا الانشغال بعلاجها على كل علم) (3) .

---

(1) المصدر السابق، ص 491، 492 .

(2) بحار الولاية المحمدية فى مناقب أعلام الصوفية، تأليف الدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدى، ص 63.

(3) نقلاً عن : حقائق عن التصوف، ص 492، 493 .

خلاصة القول أن الإمام أباحنيفة رضى الله عنه أعطى الطريقة كثيراً من سادة القوم من الأولياء والصالحين كأمثال الشيخ داؤود الطائى وغيره من صلحاء القوم.

2/ الإمام مالك رضى الله عنه :

أما الإمام مالك فقد أوردنا آنفاً قوله فى التصوف ولا بأس من ذكره مرة أخرى لتكتمل أقوال الأئمة المجتهدين فى هذا الموضع، قال رضى الله عنه : (من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق) (1) .

3/ الإمام الشافعى رضى الله عنه :

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : (حبب إلى من دنياكم ثلاث : ترك التكلف، وعشرة الخلق بالتلطف، والاقتداء بطريق أهل التصوف) (2) .

وقد أنشد الإمام الشافعى رضى الله عنه بيتين رائعين فى تلازم الفقه والتصوف، فقال:

فَقِيهاً وَصُوفياً فَكُنْ لَيْسَ وَاحِداً فَإِنِّى وَحَـــقِّ اللهِ إِيَّـاكَ أَنْـصَـــــحُ
فَـذَلِكَ قَـاسٍ لَـمَ يَـذُقْ قَـلْبُهُ تُـقًى وَهَذا جَهُولٌ كَيْفَ ذُوالجَهْلِ يَصْلُحُ (3)

4/ الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه :

وقد كان الإمام أحمد قبل مصاحبته للصوفية يقول لولده عبد الله رحمه الله تعالى : (يا ولدى عليك بالحديث، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم صوفية، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه) . فلما صحب أبا حمزة البغدادى الصوفى وعرف أحوال القوم، أصبح يقول لولده : (يا ولدى عليك بمجالسة هؤلاء القوم فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة) (4) . وكان إذا عجز عن جواب مسألة يقول للشيخ أبى حمزة البغدادى : (ما تقول فى هذا يا صوفى) فإذا أجابه بشئ أخذ به (5) . وقد قيل للإمام أحمد من نسأل بعدك قال : (عبد الوهاب الوراق) قيل له إنه ليس له اتساع فى العلم قال : (إنه رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق) . وسئل عن سيدى معروف الكرخى فقال : (كان معه أصل العلم خشية الله) قال ابن رجب الحنبلى وهذا يرجع إلى بعض قول السلف كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً (6) .

وذكر أبو سعيد بن الأعرابى أن الإمام أحمد بن حنبل كان يقول : (معروف من الأبدال وهو مجاب الدعوة) (7) .

---

(1) المصدر السابق، ص 476 .
(2) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تأليف الشيخ إسماعيل بن محمد ابن عبد الهادى العجلونى، ج 1، ص 305 .
(3) ديوان الشافعى، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى، ص 66 .
(4) أسئلة وأجوبة عن التصوف، تأليف الشيخ حازم نايف أبو غزالة، ص 206 .
(5) اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر، للشعرانى، ج2، ص365 .
(6) جامع العلوم والحكم، للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلى، ص 138، 139 .
(7) موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية، تأليف الشيخ عبد الحفيظ بن ملك عبد الحق،ص 272.

وذكر الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى فى (مناقب معروف الكرخى وأخباره)(1) بسنده عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل يقول : جرى ذكر معروف الكرخى فى مجلس والدى فقال واحد من الجماعة : هو قصير العلم، فقال له والدى : (أمسك - عافاك الله - وهل يراد العلم إلا لما وصل إليه معروف) (2) .

وقد حضر الإمام أحمد ذات ليلة مجلس الإمام الصوفى الحارث المحاسبى ومريديه رضى الله عنهم واستمع إلى كلامه فى المعرفة فبكى حتى غشى عليه، فقيل له : كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله ؟ فقال : (ما أعلم أنى رأيت مثل هؤلاء القوم، ولا سمعت فى علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل!!) (3) .

---

(1) هو كتاب فى أخبار الإمام معروف الكرخى وأحواله، نشرته دار الكتاب العربى بيروت .
(2) نقلاً عن كتاب : موقف أئمة الحركة السلفية، ص 278 .
(3) بحار الولاية المحمدية، ص 4 .

أقوال مجموعة من علماء الإسلام فى الثناء على التصوف والصوفية

1/ الإمام أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى :

ولقد تمسك الإمام القشيرى بطريقة التصوف وتحلى بها وتخلق بأخلاقها، حتى تطلعت نفسه لكتابة رسالته المشهورة التى بين فيها فضلهم وعلومهم وعلو شأنهم، وذكر جملة من سِيرِهم وبين أن ما يظهر عليهم من النجابة وعلو الفهم وخوارق العادات وغير ذلك إنما كان ثمرة لتمسكهم بالشريعة المحمدية، فكان من جملة ما قال متحدثاً عن الصوفية : (قد جعل الله أهل هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه، صلوات الله وسلامه عليهم، وجعل قلوبهم معادن أسراره، وأختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره .

فهم القياس للخلق، والدائرون فى عموم أحوالهم مع الحق بالحق . صفاهم من كدورات (1) البشرية، ورقاهم إلى محال (2) المشاهدات، بما تجلى لهم من حقائق الأحدية، ووفقهم للقيام بآداب العبودية، وأشهدهم مجارى أحكام الربوبية (3) .

فقاموا بأداء ما عليهم من واجبات التكليف، وتحققوا (4) ثم رجعوا إلى الله (5) سبحانه وتعالى بصدق الافتقار ونعت الانكسار، ولم يتكلوا على ما حصل منهم من الأعمال، أو صفا لهم من الأحوال، علماً منهم بأنه جل وعلا يفعل ما يريد. ويختار من يشاء من العبيد. لا يحكم عليه ولا يتوجه إليه مخلوق . حق ثوابه : إبتداء فضل . وعذابه : حكم بعدل . وأمره : قضاء فصل) (6) .

2/ الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله تعالى :

وها هو ذا الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى الذى اشْتُهِرَ بأنه عدو الصوفية لنقده لهم فى كتابه : (تلبيس إبليس) - وهو فى الحقيقة نقد للدخلاء المتشبهين بهم فى المقام الأول، ثم نقد لما تراءى له فى القوم مما يختلف فيه مع بعضهم - : نجده يعتبر مشايخ الصوفية من أئمة السلف الصالح، إذ يقول فى أحد مصنفاته المحققة : (وقد كان السلف يحبون جمع كل فضيلة ويبكون على فوات واحدة منها، قال إبراهيم بن أدهم : دخلنا على عابد مريض وهو ينظر إلى رجله ويبكى، فقلنا مالك تبكى ؟ فقال : ما اغبَرَّتا فى سبيل الله، وبكى مرة أخرى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : عَلى يوم مضى ما صمته، وعَلى ليلة ذهبت

---

(1) خلصهم وطهرهم من حظوظ أنفسهم .
(2) أماكن ومنازل .
(3) منشأ تصرفاته تعالى فيهم وفى غيرهم من العطاء والمنع والإسعاد والإضلال .
(4) أى اتصفوا لطمأنينة قلوبهم بما أبرزته القدرة العلية والحكمة الأزلية .
(5)فعملوا بأحكام الله تعالى متبرئين من الحول والقوة، مراقبين الله فى حركاتهم وسكناتهم، ملاحظين أنفسهم بالإنكسار والإفتقار إليه تعالى .
(6) الرسالة القشيرية، ص 18 .

ما قمتها .... وقعد قوم عند معروف الكرخى فقال : أما تريدون أن تقوموا فإن ملك الشمس يجرها ؟؟ فانظر مدى حرص الكرخى على عدم ضياع الشمس دون تعبد!!) .

إن ابن الجوزى فى هذا النص استشهد لمعالى الفضائل بسلوك إمامين من أئمة التصوف باعتبارهما من أعلام السلف الصالح !!وإن ابن الجوزى نفسه - وهو الذى يُحْتجُّ به فى رفض الصوفية - هو الذى صنف فى مناقبهم موسوعته الرائعة (صفة الصفوة) فى أربع مجلدات، وقلد مشاهير الصوفية أعلى الأوسمة، ووصفهم بأكرم الصفات والمآثر فى تراجم شخصياتهم العديدة كالإمام الجنيد، وسيدى الشبلى، وسيدى أبى يزيد البسطامى، والسيدة رابعة العدوية وسيدى ذى النون المصرى رضى الله عنهم أجمعين، ومن شاء الرجوع إلى تعرف مناقبهم وكراماتهم فى (صفة الصفوة) لابن الجوزى سيجد تجسيد عظمة الإسلام ومثاليته الروحية فى هؤلاء القوم (1) .

3/ الإمام الغزالى رحمه الله تعالى :

وها هو ذا حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى يتحدث فى كتابه المنقذ من الضلال عن الصوفية وعن سلوكهم وطريقتهم الحقة الموصلة إلى الله تعالى فيقول : (ولقد علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به (2)، وبالجملة فماذا يقول القائلون فى طريقة طهارتها - وهى أول شرط من شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله عز وجل ومفتاحها - الجارى منها مجرى التحريم من الصلاة - استغراق القلب بالكلية بذكر الله عز وجل، وآخرها الفناء بالكلية فى الله) (3) .

4/ الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى :

قال العلامة الكبير والمفسر الشهير الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى فى كتابه اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : (إعلم أن أكثر من حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية، وذلك خطأ، لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية، وهذا طريق حسن...وقال أيضاً : والمتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية ويجتهدون أن لا يخلو سرهم وبالهم

---

(1) بحار الولاية المحمدية، ص 7، 8 . بتصرف .

(2) مقتبس من قول كعب رضى الله عنه: (إن الرسول لنور يستضاء به*مهند من سيوف الله مسلول).

(3) المنقذ من الضلال للإمام الغزالى، ص 131 .

عن ذكر الله تعالى فى سائر تصرفاتهم وأعمالهم، منطبعون على كمال الأدب مع الله عزّ وجل، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين) (1) .

5/ الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى :

قال الشعرانى : قد رأيت فى كتاب (الرعاية) للشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء بمصر فى عصره ما نصه:(كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقد قعد الصوفية على قواعدها التى لا تتزلزل قال : ويؤيد ذلك ما يقع على يدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ من العلم ما بلغ إلا إن سلك طريقهم) .

قال الشعرانى : وقد بلغنا أنه كان يقول قبل ذلك : (وهل ثم طريق للشريعة غير ما بأيدينا من النقول) ثم يقول : (من زعم أن ثم علماً باطناً للشريعة غير ما بأيدينا فهو باطل يقارب الزنديق) فلما اجتمع بالشيخ أبى الحسن الشاذلى بمصر المحروسة وأخذ عنه صار يمدح طريق القوم كل المدح ويقول : (إنها طريق جمعت أخلاق المرسلين) (2) .

6/ الإمام النووى رحمه الله تعالى :

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : (أصول طريق التصوف خمسة :-

تقوى الله فى السر والعلانية .

إتباع السنة فى الأقوال والأفعال .

الإعراض عن الخلق فى الإقبال والإدبار .

الرضى عن الله فى القليل والكثير .

الرجوع إلى الله فى السراء والضراء) (3) .

7/ الحافظ الذهبى رحمه الله تعالى :

سنذكر بعضاً من أقوال الحافظ الذهبى التى يذكر فيها أحوال مشائخ الصوفية من الحفاظ والمحدثين، والتى من خلالها يظهر لنا ما يكنه الحافظ من حب وإجلال وتقدير واعتراف بفضلهم وعلو مقامهم فى العلم والعمل والإخلاص وذلك من كتابه (تذكرة الحفاظ) .

1- قال فى ج 3، ص 852 :

(ابن الأعرابى) الإمام الحافظ الزاهد شيخ الحرم أبو سعيد أحمد بن محمد ابن زياد بن بشر بن درهم البصرى الصوفى صاحب التصانيف .....وكان ثقة ثبتاً عارفاً عابداً ربانياً كبير القدر بعيد الصيت....ولد سنة ست وأربعين ومائتين ومات فى ذى القعدة سنة أربعين وثلاثمائة، رحمه الله تعالى .

---

(1) نقلاً عن : حقائق عن التصوف، ص 577 .

(2) اليواقيت والجواهر، ج2، ص354 .

(3) حقائق عن التصوف، ص 579 .

2- وقال فى ج 3، ص 901 :

(محمد بن داوود بن سليمان) الحافظ الزاهد الحجة شيخ الصوفية أبو بكر النيسابورى، سمع محمد بن عمرو قشمرد ومحمد بن إبراهيم البوشنجى وابن الضريس والنسائى وأمثالهم بخراسان والحجاز والشام ومصر والموصل، وصنف الأبواب والشيوخ وأملى زماناً، وروى عنه الحاكم وابن منده وابن جميع وأبو زكريا المزكى وخلق، وكان يعد من الأولياء، قال الدار قطنى : ثقة فاضل...توفى سنة إثنتين وأربعين وثلاثمائة رحمه الله تعالى .

3- وقال فى ج 3، ص 961 :

(غندر) وأما غندر الثالث (1) فهو صوفى محدث جوال، لقى الجنيد وطبقته، وكتب الحديث وسكن مصر وهو الشيخ أبو الطيب محمد بن جعفر بن دران البغدادى غندر، سمع أبا خليفة الجمحى وإبراهيم بن عبد الله المخزومى وأبا يعلى الموصلى، حمل عنه الدار قطنى وأبو حفص الكتانى وطائفة سواهما، توفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة .

4- وقال فى ج 1، ص 245 :

الفضيل بن عياض الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو على التميمى اليربوعى المرزوى شيخ الحرم..... سكن مكة وكان إماماً ربانياً صمدانياً قانتاً كبير الشأن .....

قال ابن المبارك : ما بقى على ظهر الأرض أفضل من الفضيل....

وقال ابن سعد : ولد بخراسان وسمع بالكوفة ثم تعبد ونزل مكة، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً كثير الحديث.....

وقال هارون الرشيد : ما رأيت فى العلماء أهيب من مالك ولا أورع من الفضيل .

وقال شريك : لم يزل لكل قوم حجة فى زمانهم وأن الفضيل بن عياض حجة لأهل زمانه .

وقال إبراهيم بن الأشعث : رأيت ابن عيينة يقبل يد الفضيل بن عياض مرتين.

5- وقال فى ج 3، ص 1016 :

(الطوسى) الحافظ أبو الفضل نصر بن محمد بن أحمد بن يعقوب العطار وهو ابن أبى نصر الطوسى..... قال الحاكم : هو أحد أركان الحديث بخراسان مع ما يرجع إليه من الدين والزهد والسخاء والتعصب لأهل السنة، أول رحلته كانت إلى مرو إلى الليث بن محمد، وما خلف بالطابران يوم مات مثله، وإمام فى علوم الصوفية وأخبارهم، ولقى شيوخهم، فإنه توفى يوم توفى ولم يخلف بخراسان مثله فى التقدم واللقى ...قلت كان قد صحب الشبلى ومات فى المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة .

6- وقال فى ج 3، ص 1070 :

(المالينى) الحافظ العالم الزاهد أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن حفص الأنصارى الهروى المالينى الصوفى، ويعرف أيضاً بطاؤوس الفقراء.....وجمع

---

(1) وقد ذكر غندر الأول والثانى قبل هذا .

وحصل من المسانيد الكبار شيئاً كثيراً، وكان ثقة متقناً صاحب حديث ومن كبار الصوفية.

وله كتاب أربعين الصوفية، حدث عنه الحافظ عبد الغنى وتمام الرازى وأبو حازم العبدوى وأبو بكر البيهقى وأبو بكر الخطيب و...وآخرون ...توفى سنة تسع وأربعمائة فَوُهِم، بل توفى سنة إثنتى عشرة، وقد ذكره ابن الصلاح فى طبقات الشافعية .

7- وقال فى ج 3، ص 1092 :

(أبو نعيم) الحافظ الكبير محدث العصر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحق ابن موسيين مهران المهرانى الأصبهانى الصوفى الأحول سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء....تفرد فى الدنيا بإجازتهم كما تفرد بالسماع من خلق، ورحلت الحفاظ إلى بابه لعلمه وحفظه وعلو أسانيده .....

قال الخطيب : لم أر أحداً أطلق عليه إسم الحافظ غير أبى نعيم وأبى حافظ العبدوى .

قال على بن فضل الحافظ : قد جمع شيخنا السلفى أخبار أبى نعيم فسمَّى نحواً من ثمانين نفس حدثوه عنه .

وقال : لم يصنف مثل كتابه : (حلية الأولياء) سمعناه على أبى المظفر القاشانى عنه سوى فوت يسير .

قال أحمد بن محمد بن مردويه : كان أبونعيم فى وقته مرحولاً إليه لم يكن فى أفق من الآفاق أحد أحفظ منه ولا أسند منه، كأن حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده وكل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده إلى قريب الظهر، فإذا قام إلى داره ربما كان يقرأ عليه فى الطريق جزء وكان لا يضجر،لم يكن له غذاء سوى التسميع والتصنيف .

وقال حمزة بن العباس العلوى : كان أصحاب الحديث يقولون : بقى الحافظ أبو نعيم أربع عشر سنة بلا نظير، لا يوجد شرقاً ولا غرباً أعلى إسناداً منه ولا أحفظ منه، وكانوا يقولون : لما صنف كتاب الحلية حمل الكتاب فى حياته إلى نيسابور فاشتروه بإربعمائة دينار .

وقد روى الإمام أبو عبد الرحمن السلمى مع تقدمه فى (طبقات الصوفية) له : أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الهاشمى أنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله أنا محمد ابن على بن حبيش ببغداد فذكر حديثا.....

ولأبى نعيم تصانيف مشهورة ككتاب معرفة الصحابة، وكتاب دلائل النبوة فى مجلدين، وكتاب المستخرج على البخارى، والمستخرج على مسلم، وكتاب تاريخ أصبهان، وصفة الجنة، وكتاب الطب، وكتاب فضائل الصحابة، و.... مات أبو نعيم فى العشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة.....

8- وقال فى ج 3، ص 1170 :

(الكتانى) الإمام المحدث مفيد دمشق ومحدثها أبو محمد عبد العزيز بن أحمد ابن محمد بن على التميمى الدمشقى الصوفى، سمع الكثير وجمع فأوعى ونسخ ما لا يوصف كثرة....الخ .

9- وقال الحافظ الذهبى فى نهاية الجزء الرابع وهو الأخير من تذكرة الحفاظ ما نصه :
وإلى هنا انتهى بنا كتاب التذكرة، ولعل فيمن لم نوردهم غفلة أو نسيانا من هو فى رتبة المذكورين علماً وحفظاً وقد كنت ألفت معجماً لى يختص بمن طلب هذا الشأن من شيوخى ورفاقى فاستوعبت من له أدنى عمل وبينت أحوالهم .
(ثم ذكر الذهبى شيوخه منهم فقط) .
(نذكر هنا ثلاثة من شيوخ صاحب التذكرة فقط لعلاقتهم بموضوع الكتاب) قال رحمه الله ما نصه :-
لزمت (1) الشيخ الإمام المحدث مفيد الجماعة أبا الحسن على بن مسعود ابن نفيس الموصلى، وسمعت منه جملة، وكان ديناً خيراً متصوفاً متعففاً قرأ ما لا يوصف كثرة، وحصل أصولاً كثيرة كان يجوع ويبتاعها، سمع بمصر والشام وعاش سبعين سنة مات سنة أربع وسبعمائة... أ هـ .
وسمعت من مفيد الطلبة المحدث الإمام المتقن اللغوى صفى الدين محمود ابن أبى بكر الأرموى ثم القرافى الصوفى، قرأ الكتب من المشايخ، وكان فصيحاً فاضلاً كتب شيئاً كثيراً وعُنى بهذا الشأن وبرع فى علم اللسان وصنف، روى لنا عن النجيب الحرانى والكمال ابن عبد ومات سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة عن بضع وسبعين سنة رحمه الله تعالى أ هـ .
وسمعت من الإمام المحدث الأوحد الأكمل فخر الإسلام صدر الدين إبراهيم بن محمد المؤيد بن حمويه الخراسانى الجوينى شيخ الصوفية، قدم علينا طالب حديث وروى لنا عن رجلين من أصحاب المؤيد الطوسي، وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الأجزاء، حسن القراءة مليح الشكل مهيباً دَيِّناً صالحاً وعلى يده أسلم غازان الملك، مات سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة وله ثمان وسبعون سنة رحمه الله تعالى أ هـ .
واكتفينا هنا بنقل ما ذكره الإمام الحافظ الذهبى فى مؤلفه النفيس (تذكرة الحفاظ) فقط حتى يُعلَم أن كبار حفاظ الحديث الشريف كان منهم كثير من مشايخ التصوف أيضاً، وعلى كل حال هؤلاء هم مشايخ وتلاميذ فإن الطعن فيهم يتعدى به الطعن فى مشايخهم وتلاميذهم من حفاظ الحديث وأساطين السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام .
وقد لاحظت أن أمثال الحافظ الذهبى أيضاً له عدة من مشايخ الصوفية بل إنه ما ذكر فى أحد منهم أنه (لزمه) إلا الذى وصفه منهم أنه كان : (دَيِّناً خيراً متصوفاً متعففاً) .
وهكذا يلاحظ كيف يذكر السادة الصوفية - وهذه بعض النماذج فقط قدمناها هنا وجل كتبه مليئة بمثل هذا الذى ذكرناه - فإن قلمه تراه يسيل بذكر مناقبهم الجلية وكراماتهم

(1) هذا هو الشيخ الوحيد من مشايخ الذهبى الذى ذكر عنه (لزمه) أما بقية المشايخ فقد ذكر أنه سمع منهم فقط، فلاحظ .

العجيبة وإزجاء الثناء والمدح عليهم . وتلاحظ من عباراته وأسلوبه أن الرجل من أشد المحبين للقوم والمتوددين إليهم مثله مثل جمهور علماء الإسلام فى ذلك (1) .

8/ ابن تيمية رحمه الله تعالى :

وحتى ابن تيمية بالرغم من أنه اشْتُهِرَ بالتحامل على الصوفية بل والاختلاف معهم فى كثير من الاعتقادات إلا أنه أقر تمسك السادة الصوفية بالكتاب والسنة وذلك فى قسم علم السلوك من فتواه حيث قال : (والشيخ عبد القادر الجيلانى - رحمه الله تعالى - ونحوه من أعظم مشائخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع والأمر والنهى، وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشائخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية، فإن الخطأ فى الإرادة من حيث هى إرادة إنما تقع من هذه الجهة، فهو يأمر السالك أن لاتكون له إرادة من جهته هو أصلاً، بل يريد ما يريد الرب عز وجل، إما إرادة شرعية إن تبين له ذلك وإلا جرى مع الإرادة القدرية، فهو إما مع الرب وإما مع خلقه وهو سبحانه له الخلق والأمر، وهذه طريقة شرعية صحيحة) (2) . وقال أيضاً : (فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف مثل الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبى سليمان الدارانى ومعروف الكرخى والسرى السقطى والجنيد بن محمد وغيرهم من المتقدمين، ومثل الشيخ عبد القادر الجيلانى والشيخ حماد والشيخ أبى البيان وغيرهم من المتأخرين، فهم لايسوغون للسالك ولو طار فى الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهى الشرعيين، بل عليه أن يعمل المأمور ويدع المحذور إلى أن يموت، وهذا هو الحق الذى دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، وهذا كثير من كلامهم) (3) .

9/ العلامة تاج الدين السبكى رحمه الله تعالى :

وقال العلامة تاج الدين السبكى رحمه الله تعالى فى كتابه معيد النعم ومبيد النقم، تحت عنوان الصوفية : (حياهم الله وَبَيَاهم (4) وجمعنا فى الجنة نحن وإياهم . وقد تشعبت الأقوال فيهم تشعباً ناشئاً عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها، بحيث قال الشيخ أبو محمد الجُوَيْنى : لا يصح الوقف عليهم لأنه لا حد لهم يعرف، والصحيح صحته، وأنهم المعرضون عن الدنيا المشتغلون فى أغلب الأوقات بالعبادة ....) ثم تحدث عن تعاريف التصوف إلى أن قال : (والحاصل أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم، ويُسْتَنْزَلُ الغيث بدعائهم، فرضى الله عنهم وعنا بهم) (5) .

---

(1) نقلاً عن كتاب : موقف أئمة الحركة السلفية، ص 93، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 107، 108، 109 .

(2) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 10 ص 488، 489 .

(3) المصدر السابق، ج 10، ص 516، 517 .

(4) بياهم : أضحكهم أو قربهم . أنظر : معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، تأليف مجدى وهبة وكامل المهندس، ص 11 – الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها، تأليف الإمام العلامة أبى الحسين أحمد بن فارس، ص 209 .

(5) معيد النعم ومبيد النقم، للإمام تاج الدين السبكى، ص 120 .

10/ الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :

ذكر الحافظ ابن كثير فى كتابه (البداية والنهاية) مجموعة من مشايخ الصوفية الأجلاء العلماء الأعلام الزهاد العباد، أمثال الإمام أبى القاسم الجنيد ابن محمد، ومحمد بن أحمد بن القاسم أبى على الروذبارى، ومحمد بن إسماعيل المعروف بخير النساج، وأبى تراب النخشبى، والحافظ أبى بكر أحمد بن عمرو ابن أبى عاصم الضحاك بن نبيل، ومحمد بن عبد الله أبى بكر الدقاق، وأبى الحسين النورى، وأبى حمزة محمد بن على بن علوية بن عبد الله الجرجانى، وأبى محمد جعفر المرتعش، وعلى بن محمد أبى الحسن المزين الصغير، وسهل ابن عبد الله التسترى، وعبد الله اليونينى، وشهاب الدين السهروردى صاحب (عوارف المعارف)، وعبد الله الأرمنى، ومحمد الفقيه اليونينى وغيرهم، ونحن هنا سوف نكتفى بما ذكره عن الإمام الجنيد كنموذج لما أورده الحافظ فى الثناء على أهل التصوف ومشايخهم، ذكر فى (البداية والنهاية)، ج 11، ص 113 : فى سنة ثمان وتسعين ومائتين ذكر :

أنه توفى فيها من الأعيان .....و(الجنيد بن محمد بن الجنيد) أبو القاسم الخزاز، ويقال له القواريرى أصله من نهاوند، ولد ببغداد ونشأ بها وسمع الحديث من الحسين بن عرفة وتفقه بأبى ثور إبراهيم بن خالد الكلبى، وكان يفتى بحضرته وعمره عشرون سنة، وقد ذكرناه فى طبقات الشافعية، اشتهر بصحبة الحارث المحاسبى وخاله سرى السقطى ولازم التعبد ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة، وتكلم على طريقه الصوفية .

وكان ورده فى كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة، ومكث أربعين سنة لا يأوى إلى فراشه ففتح عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره فى زمانه .

وكان يعرف سائر فنون العلم، وإذا أخذ فيها لم يكن له فيها وقفة ولا كبوة، حتى كان يقول فى المسألة الواحدة وجوهاً كثيرة لم تخطر للعلماء ببال وكذلك فى التصوف وغيره.

ولما حضرته الوفاة جعل يصلى ويتلو القرءان فقيل له : لو رفقت بنفسك فى مثل هذا الحال ؟ فقال : لا أحد أحوج إلى ذلك منى الآن، وهذا أوان طى صحيفتى .

قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن أبى ثور، ويقال كان يتفقه على مذهب سفيان الثورى، وكان ابن سريج يصحبه ويلازمه وربما استفاد منه أشياء فى الفقه لم تخطر له ببال .

ويقال : أنه سأله مرة عن مسألة فأجابه فيها بجوابات كثيرة فقال : يا أبا القاسم لم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت فأعدها على، فأعادها بجوابات أخرى غير ذلك، فقال له : لم أسمع بمثل هذا فأمله على حتى أكتبه .

فقال الجنيد : لئن كنت أجريه فأنا أمليه، أى أن الله هو الذى يجرى ذلك على قلبى وينطق به لسانى، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلم وإنما هذا من فضل الله عز وجل يلهمنيه ويجريه على لسانى، فقال : فمن أين استفدت هذا العلم ؟ قال من جلوسى بين يدى الله أربعين سنة .

والصحيح أنه كان على مذهب سفيان الثورى وطريقه والله أعلم .... ورأى بعضهم معه مسبحة : فقال له أنت مع شرفك تتخذ مسبحة ؟ فقال : طريق وصلت به إلى الله لا أفارقه .

وقال له خاله السرى : تكلم على الناس، فلم ير نفسه موضعاً، فرأى فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : تكلم على الناس، فغدا على خاله فقال له : لم تسمع منى حتى قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتكلم على الناس .

وجاءه يوماً شاب نصرانى فى صورة مسلم فقال له : يا أبا القاسم ما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) فأطرق الجنيد، ثم رفع رأسه إليه وقال : أسلم فقد آن لك أن تسلم قال : فأسلم الغلام....الخ (1) .

ثم إننا لنجد ابن كثير - فى بعض تراجم الصوفية من تاريخه - يذعن لمقامات الصوفية، وأحوالهم وكراماتهم ومراتبهم فيعبر عنها بمصطلحات القوم التى ينكرها - تماماً - أعداء التصوف، فنجده - مثلاً - يقول فى ترجمة الشيخ عبد الله الأرمنى رضى الله عنه : (....أحد العباد الزهاد الذين جابوا البلاد، وسكنوا البرارى والجبال والوهاد، واجتمعوا بالأقطاب والأبدال والأوتاد، وممن كانت لهم الأحوال والمكاشفات، والمجاهدات، والسياحات فى سائر النواحى والجهات...) (2) وهكذا تظهر لنا النظرة الصحيحة للصوفية بلا تعسف ولا غلو ولا دعوى تكفير أو تشريك لصفوة الصفوة من أولياء الرحمن .

11/ الإمام الشاطبى رحمه الله تعالى :

قال الإمام الشاطبى فى كتابه الإعتصام: (..... وأن الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة، مقيمون على متابعة السنة، غير مُخِلِّين بشئ من آدابها، أبعد الناس عن البدع وأهلها . ولذلك لا نجد منهم من ينسب إلى فرقة من الفرق الضالة، ولا من يميل إلى خلاف السنة، وأكثر من ذُكِرَ منهم علماءٌ وفقهاءٌ ومُحَدِّثُون وممن يُؤخذ عنه الدين أصولاً وفروعاً ومن لم يكن كذلك فلا بد له من أن يكون فقيهاً فى دينه بمقداركفايته) (3) .

12/ الحافظ ابن رجب الحنبلى رحمه الله تعالى :

غالب مؤلفات الحافظ ابن رجب الحنبلى مشحونة بذكر السادة الصوفية وكلامهم وأحوالهم ومن مؤلفاته تلك كتابه البديع (الذيل على طبقات الحنابلة)، الذى ذكر فيه كثيراً من الحفاظ والفقهاء الحنابلة الصوفية ونكتفى هنا بما أورده عن الشيخ عبد القادر الجيلانى وقبل ذلك لنقف على القصيدة التالية التى أوردها الحافظ فى نفس الكتاب، ج 1، ص 211 : فى ترجمة (الإمام أبى محمد عبد الله البغدادى) قال الحافظ الضياء

---

(1) نقلاً عن كتاب : موقف أئمة الحركة السلفية، ص 116، 117، 118 .
(2) بحار الولاية المحمدية، ص 13 .
(3) الإعتصام، للإمام الشاطبى، ج 1، ص 131، 132 .

المقدسى : أخبرنا أبو الفضل عبد الواحد بن سلطان بغداد، أنا محمد المقرئ، أجازهم وأنشدنا لنفسه:

تركُ التَّكلُّفِ فى التصوف واجبٌ	ومِنَ المُحالِ تكلفُ الفقراءِ
قومٌ إذا امتدَّ الظلامُ رأيتَهم	يتركَّعون تركُّعَ القُرَّاء
والوجدُ منهم فى الوجوهِ محَلُّه	ثم السَّماعُ يحِل فى الأعضاء
لا يرفعون بذاكَ صوتاً مُجْهِراً	يتجنَّبون مواقعَ الأهواء
ويُواصلون الدَّهرَ صوماً دائماً	فى البأسِ إن يأتى وفى السَّرَّاء
وتراهُمُ بينَ الأنامِ إذا أتوا	مثلَ النُّجُومِ الغُرِّ فى الظَّلْمَاء
صدَقَتْ عزائمُهُمْ وعَزَّ مُرادُهُم	وعَلَتْ منازلُهُم علَى الجَوْزاء
صَدَقُوا الإلهَ حقيقةً وعزيمةً	ورَعُوا حقوقَ الله فى الآناء
والرَّقصُ نَقْصٌ عندَهُم فى عَقْدِهِم	ثُمَّ القضيبُ بغيرِ ما إخفاء
هذا شعارُ الصَّالحينَ ومَنْ رَضِى	مِنْ سادةِ الزُّهَّادِ والعلماء
فإذا رأيتَ مُخالِفاً لفِعَالِهم	فاحكُمْ عليه بمُعْظَمِ الإغواء

وذكر فى (الذيل على طبقات الحنابلة)، ج 1، ص 290 :

(عبد القادر بن أبى صالح بن عبد الله بن جنكى دوست بن أبى عبد الله ابن عبد الله الجيلى ثم البغدادى الزاهد) .

شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة فى وقته محى الدين أبو محمد، صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف والأحوال المشهورة .

وبعض الناس يذكر نسبه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه..... ولد سنة تسعين وأربعمائة أو سنة إحدى وتسعين بكيلان .وفد بغداد شاباً فسمع بها الحديث من أبى غالب بن الباقلانى وجعفر السراج وأبى بكر بن سوسن وابن بيان وأبى طالب بن يوسف وابن خشيش وأبى الزينى .

وتفقه على القاضى أبى سعيد المخرمى وأبى الخطاب الكلوذانى.

وقيل إنه قرأ أيضاً على بن عقيل والقاضى أبى الحسين وبرع فى المذهب والخلاف والأصول وغير ذلك .

وقرأ الأدب على أبى زكريا التبريزى وصحب الشيخ حماد الدباس الزاهد ودرس بمدرسة شيخه وأقام بها إلى أن مات ودفن بها .

قال ابن الجوزى : كانت هذه المدرسة لطيفة ففوضت إلى عبد القادر فتكلم على الناس بلسان الوعظ، وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت، وضاقت المدرسة بالناس.

وكان يجلس على سورِ بغداد مستنداً إلى الرباط وينوب عنده فى المجلس خلق كثير، فعمرت المدرسة ووسعت، وتعصبت فى ذلك العوام وأقام فى مدرسته يدرس ويعظ إلى أن توفى . وذكره ابن السمعانى فقال : إمام الحنابلة وشيخهم فى عصره فقيه صالح دَيِّنٌ

خَيِّرٌ كثير الذكر دائم الفكر كثير الدمعة كتبت عنه، وكان يسكن بباب الأزج فى المدرسة التى بنوها له .....

قلت : ظهر الشيخ عبد القادر للناس وجلس للوعظ بعد العشرين وخمسمائة وحصل له القبول التام من الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه وانتفعوا به وبكلامه ووعظه، وانتصر أهل السنة بظهوره، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته وهابه الملوك فمن دونهم .

قال الشيخ موفق الدين صاحب المغنى : لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر، ولا رأيت أحداً يُعَظَّمُ من أجل الدين أكثر منه .

وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الشافعية : إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر فإن كراماته نقلت بالتواتر.....

وقرأت بخط ابن الحنبلى أيضاً أن خاله أبا الحسن بن نجا الواعظ اجتمع بالشيخ عبد القادر وكان يحكى عنه قال : سبقت يوم العيد إلى المصلى إلى المكان الذى يصلى فيه الشيخ عبد القادر قال : فجاء الشيخ عبد القادر ومعه خلق كثير والناس يقبلون يديه فصلى ركعتين قبل الصلاة فقلت فى نفسى : ما هذه الصلاة فمن السنة لا تنفل قبلها، قال : فلما سلم التفت إلىَّ وقال لها سبب.....

وقال ابن النجار : وسمعت أبا الأخفش يقول :كنت أدخل على الشيخ عبد القادر فى وسط الشتاء وقوة برده وعليه قميص واحد وعلى رأسه طاقية والعرق يخرج من جسده وحوله من يروحه بالمروحة كما يكون فى شدة الحر .....

قال ابن الجوزى : توفى الشيخ عبد القادر ليلة السبت ثامن وقال غيره تاسع ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة بعد المغرب ودفن من وقته بمدرسته وبلغ تسعين سنة .

وسمعت أنه كان يقول عند موته : رفقاً رفقاً . ثم يقول وعليكم السلام وعليكم السلام، أجئ إليكم أجئ إليكم (1) .

13/ العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى :

وقال ابن خلدون رحمه الله تعالى فى كلامه عن علم التصوف : (هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة . وكان ذلك عامًّا فى الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة) (2) .

---

(1) نقلا عن كتاب : موقف أئمة الحركة السلفية، ص 131، 134، 135، 136، 137 .

(2) مقدمة ابن خلدون، ص 381 .

14/ الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى :

قال الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى : (إن التصوف فى نفسه علم شريف، وإن مداره اتباع السنة وترك البدع والتبرى من النفس وعوائدها وحظوظها وأغراضها ومراداتها واختياراتها، والتسليم لله والرضى به وبقضائه وطلب محبته، واحتقار ما سواه ... وعلمت أيضاً أنه قد كثر فيه الدخيل من قوم تشبهوا بأهله وليسوا منهم، فأدخلوا فيه ما ليس منه، فأدى ذلك إلى إساءة الظن بالجميع، فَوَجَّه أهل العلم للتمييز بين الصنفين لِيُعْلَمَ أهل الحق من أهل الباطل، وقد تأملت الأمور التى أنكرها أئمة الشرع على الصوفية فلم أرَ صوفياً محققاً يقول بشئ منها، وإنما يقول به أهل البدع والغلاة الذين ادعوا أنهم صوفية وليسوا منهم) (1) .

15/ العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى :

قال العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى : (لا كلام لنا مع الصّدق من ساداتنا الصوفية المبرئين عن كل خصلة ردية – إلى أن قال – ولا كلام لنا أيضاً مع من اقتدى بهم وذاق من مشربهم ووجد من نفسه الشوق والهيام فى ذات الملك العلام، بل كلامنا مع هؤلاء العوام الفسقة اللئام ... الخ) (2) .

16/ الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى :

قال الإمام حسن البنا فى كتابه (مذكرات الدعوة والداعية) تحت عنوان رأى فى التصوف، ص 29، 30، 31 ما نصه : (وهذا القسم من علوم التصوف، وأسميه (علوم التربية والسلوك) لا شك أنه من لب الإسلام وصميمه، ولا شك أن الصوفية قد بلغوا به مرتبة من علاج النفوس ودوائها، والطب لها والرقى بها، لم يبلغ إليها غيرهم من المربين، ولا شك أنهم حملوا الناس بهذا الأسلوب على خطة عملية من حيث أداء فرائض الله واجتناب نواهيه وصدق التوجه إليه ..... ولذلك كله أصل من الدين يرد إليه ؛ فالصمت أصله الاعراض عن اللغو، والجوع أصله التطوع بالصوم، والسهر أصله قيام الليل، والعزلة أصلها كف الأذى عن النفس ووجوب العناية بها) ثم يستطرد قائلاً : (ولاشك أن التصوف والطرق كانا من أكبر العوامل فى نشر الإسلام فى كثير من البلدان وإيصاله إلى جهات نائية ما كان ليصل إليها إلا على يد هؤلاء الدعاة كما حدث ويحدث فى بلدان أفريقية وصحاريها ووسطها، وفى كثير من جهات آسيا كذلك) واختتم حديثه بقوله : (ولا شك أن الأخذ بقواعد التصوف فى ناحية التربية والسلوك له الأثر القوى فى النفوس والقلوب، ولكلام الصوفية فى هذا الباب صولة ليست لكلام غيرهم من الناس) . وفى ص 73 يقول : (طريق التصوف الصادق، الذى يتلخص فى الإخلاص والعمل، وصرف القلب عن الاشتغال بالخلق خيرهم وشرهم، وهو أقرب وأسلم) . وفى مجموعة

---

(1) حقائق عن التصوف، ص 583 .

(2) مجموعة رسائل ابن عابدين، ص 172، 173 .

رسائله، ص 163 قال عن أساس منهجه ودعوته بأنها : (دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية) .

(خلاصة) : وبعد أن أوردنا أقوال هؤلاء العلماء من مفسرين وفقهاء وحفاظ ومؤرخين ووضح من خلال أقوالهم الثناء على التصوف وأهله، بعد تلك الأقوال لنا أن نسأل العقلاء المنصفين هل يا ترى أن كل هؤلاء العلماء أجمعوا على ضلالة ؟!!! كما لا يفوتنى أن أبَيِّن أمراً مهماً وهو أن حتى من اختلف من العلماء مع الصوفية فى بعض المسائل الفقهية لم يصل به الحال أن يصفهم بالكفر والزندقة وغير ذلك من العبارات التى تُخْرِج الموصوف بها عن الدين، ونحن فى هذا المقام ندعو من يختلفون مع الصوفية أن يرجعوا إلى أدب الخلاف الذى كان عليه السلف الصالح من الأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء .

أقوال أئمة التصوف فى التمسك بالشريعة الغراء

لقد ظل أئمة التصوف المهتدين بشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الداعين لها المراعين لحقوق الله فى جميع آدابهم وأخلاقهم، يدعون بلسان حالهم ومقالهم للتمسك بالشريعة الغراء، وهذه نبذة يسيرة من أقوالهم وتوجيهاتهم تشهد على تمسكهم بالكتاب والسنة ودعوتهم إلى العمل بذلك . فالواجب أن نعرف الشخص بما أخبر به عن نفسه فالإنسان هو خير من يتحدث عن رأيه وأوثق من يظهر ما يضمر.

قال سيدى أبو سليمان الدارانى : (ربما يقع فى قلبى النكتة (1) من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة) (2) .

وحكى عن سيدى بشر الحافى أنه قال : (رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : يا بشر، أتدرى لم رفعك الله من بين أقرانك ؟ قلت لا يا رسول الله . قال : باتباعك لسنتى، وخدمتك للصالحين، ونصيحتك لإخوانك، ومحبتك لأصحابى وأهل بيتى، وهو الذى بلغك منازل الأبرار) (3) .

وقال سيدى أبو الحسن أحمد أبى الحوارى : (من عمل عملاً بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل) .

وقال سيدى ذو النون المصرى : (مدار الكلام أربع : حب الجليل، وبغض القليل، واتباع الترتيل، وخوف التحويل . من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه) (4) .

وقال سيدى أبو حفص عمر بن سلمة الحداد : (من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا نعده فى ديوان الرجال) (5).

وحكى عن سيدى أبى يزيد البسطامى أنه قال لأحد أصحابه : (قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذى شهر نفسه بالولاية، فلما خرج من بيته - أى الرجل -، ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه، وقال : هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه ؟) (6) .

وقال سيدى أبو يزيد : (لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفينى مؤنة الأكل ومؤنة النساء، ثم قلت : كيف يجوز لى أن أسأل الله هذا ولم يسأله رسول الله صلى الله عليه

---

(1) النكتة : كلمة الحكمة .
(2) الرسالة القشيرية، ص67 .
(3) المصدر السابق، ص 55 .
(4) مفاهيم يجب أن تصحح، ص 108 .
(5) الرسالة القشيرية، ص 73 .
(6) المصدر السابق، ص 63 .

وسلم إياه ؟ فلم أسأله . ثم إن الله سبحانه وتعالى كفانى مؤنة النساء ،حتى لا أبالى أستقبلتنى امرأة أو حائط) (1) .

وقال أيضاً : (لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء، فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة) (2) .

وقال سيدى سهل بن عبد الله التُّسْتَرى : (كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل، هذا حال الصوفية وطريقهم، وكل من يدعى حالاً على غير هذا الوجه فمدعى مفتون كذاب) (3) .

وقال أيضاً : (أصولنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله تعالى والاقتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق) (4) .

وقال سيدى أبو حمزة البغدادى : (من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحواله وأفعاله وأقواله) (5) .

وقال سيدى إبراهيم الخواص : (ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العالم من اتبع العلم واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم) (6) .

وحكى عن سيدى الحسين النورى أنه قال : (من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه عن حد العلم الشرعى فلا تقربن منه) (7) .

وقال سيدى الإمام أبو القاسم الجنيد : (من لم يحفظ القرءان ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر (8) لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) .

وقال أيضاً : (مذهبنا هذا : مقيد بأصول الكتاب والسنة) .

وقال أيضـاً : (علمنا هذا مشـيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) (9).

وذَكَرَ رجلٌ عنده المعرفـةَ فقال : أهلُ المعرفـة بالله : يصلون إلى ترك الحركات (10) من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل . فقال الجنيد : (إن هذا قول قوم تكلموا

---

(1) المصدر السابق .
(2) المصدر السابق، ص 64 .
(3) عوارف المعارف، ص 53 .
(4) طبقات الصوفية، تأليف أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى، ص170 .
(5) الرسالة القشيرية، ص 100 .
(6) المصدر السابق، ص 98 .
(7) المصدر السابق، ص 83 .
(8) أى التصوف .
(9) الرسالة القشيرية، ص 80 .
(10) أى الأعمال .

بإسقاط الأعمال وهو عندى عظيمة، والذى يسرق ويزنى أحسن حالاً من الذى يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر إلا أن يحال بى دونها).

وقال أيضاً : (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام) (1) .

وقال سيدى أبو عثمان النيسابورى : (الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم، ومع أولياء الله بالاحترام والخدمة، ومع الأهل بحسن الخلق، ومع الأخوان بدوام البشر مالم يكن إثماً، ومع الجهال بالدعاء لهم والرحمة) (2) .

وقال سيدى ممشاد الدينورى : (أدب المريد فى التزام حرمات المشايخ، وخدمة الأخوان، والخروج عن الأسباب، وحفظ آداب الشرع على نفسه) (3) .

وقال سيدى ابن عطاء : (من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب فى أوامره وأفعاله وأخلاقه)(4).

وقال سيدى أبو الحسين الوراق : (لا يصل العبد إلى الله إلا بالله وبموافقة حبيبه صلى الله عليه وسلم فى شرائعه، ومن جعل الطريق إلى الوصول فى غير الاقتداء يضل من حيث يظن أنه مهتد) (5) .

وقال سيدى أبو بكر الكتانى : (التقى : من اتقى ما لهج به العوام من متابعة الشهوات وركوب المخالفات، ولزم باب الموافقة (6) وأنس براحة اليقين وأتته الفوائد من الله عز وجل فى كل حال فلم يغفل عنها) (7) .

وقال سيدى أبو على الثقفى : (لا يقبل من الأعمال إلا ما كان صواباً، ومن صوابها إلا ما كان خالصاً، ومن خالصها إلا ما كان موافقاً للسنة) (8) .

وقال سيدى أبو الخير الأقطع : (ما بلغ أحد إلى حالة شريفة، إلا بملازمة الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين) (9) .

وقال سيدى عبد القادر الجيلانى : (لاترى لغير ربك وجوداً مع لزوم الحدود، وحفظ الأوامر والنواهى، فإن انخرم فيك شئ من الحدود فاعلم أنك مفتون قد لعب بك

---

(1) الرسالة القشيرية، ص79 .
(2) موقف أئمة الحركة السلفية، ص57 .
(3) الرسالة القشيرية، ص 102 .
(4) موقف أئمة الحركة السلفية، ص 58 .
(5) طبقات الصوفية، ص 230 .
(6) أى موافقة الكتاب والسنة .
(7) الرسالة القشيرية، ص 109 .
(8) المصدر السابق، ص 108 .
(9) المصدر السابق، ص 109 .

الشيطان فارجع إلى حكم الشرع والزمه ودع عنك الهوى، لأن كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهى باطلة) (1) .

وقال منكراً على من يعتقد أن التكاليف الشرعية تسقط عن السالك فى حال من الأحوال : (ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد فى حال من الأحوال) (2) .

وقال سيدى محى الدين بن عربى : (وعليك بالاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحواله وأقواله وأفعاله....) (3) .

وقال سيدى أحمد الرفاعى : (سلكت كل طريق فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الذل والافتقار والانكسار وتعظيم أمر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى والاقتداء بسنة سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم) (4) .

وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى : (إذا عارض كشفك الكتاب والسنة، فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله قد ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة، ولم يضمنها لى فى جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة، مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغى العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة) (5) .

وقال سيدى أحمد البدوى : (طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة والصدق والصفاء وحسن الوفاء وحمل الأذى وحفظ العهود) (6) .

وقال سيدى إبراهيم الدسوقى : (يا فلان أسلك طريق النسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام، واتباع جميع الأوامر المشروعة والأخبار المرضية والاشتغال بطاعة الله تعالى قولاً وفعلاً واعتقاداً) (7) .

وقال سيدى أحمد زروق : (وكل شيخ لم يظهر بالسنة فلا يصح إتباعه لعدم تحقق حاله وإن صح فى نفسه وظهر عليه ألف ألف كرامة من أمره) (8) .

وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى : (وقد أجمع القوم - أى الصوفية - على أنه لا يصلح للتصدر فى طريق الله عز وجل إلا من تبحر فى علم الشريعة، وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها) (9) .

---

(1) الطبقات الكبرى، للشعرانى، ص188 .
(2) حقائق عن التصوف، ص 483 .
(3) الوصايا، لابن عربى، ص 173 .
(4) قلادة الجواهر فى ذكر الغوث الرفاعى وأتباعه الأكابر، تأليف السيد محمد أبى الهدى أفندى الرفاعى، ص 65، 66.
(5) الطبقات الكبرى، ص291 .
(6) بحار الولاية المحمدية، ص512 .
(7) الطبقات الكبرى، ص 247 .
(8) حقائق عن التصوف، ص 487 .
(9) الطبقات الكبرى، ص 10 .

وقال أيضاً : (إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر، فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعى فى كل حركة وسكون) (1) .
وقال أيضاً : (فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شئ من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة . وكيف يخرج والشريعة صلتهم إلى الله عز وجل فى كل لحظة) (2) .
وقال سيدى أحمد بن إدريس : (إن ما دل عليه صريح الكتاب والسنة بطريق الدلالات المعتبرة فى الشرع من حكم أصلى أو فرعى وجب العمل به وإرشاد الناس إليه، وما خالف الكتاب والسنة من أى عمل كما هو المشاهد فى كتب الرأى المحض وما عليه الفلاسفة ومن دان بدينهم من تحكيم عقولهم مما لا يطابقه عقل ولا يوافقون - فيه - شرع، فهو من الرسوم التى لا يحل لمؤمن أن يدين بها) (3) .

(تنبيه) ينبغى للقارئ أن يعلم أن كتب التصوف لم تسلم من الدس والتحريف كغيرها من كتب العلم كالتفسير والحديث والفقه والتاريخ فقد وضع أعداء الإسلام فيها كثيراً من الأقوال المكذوبة، وبصفة خاصّه المستشرقون ومن نحى نحوهم، وكان القصد من ذلك إثارة الفتن بين المسلمين تارة وتارة أخرى تضليلهم بقصص وأخبار لا أساس لها من الصحة إطلاقاً .

(ولو ثبت بطريق صحيح عن بعض الصوفية كلام مخالف لحدود الشريعة فنقول : ليست كلمة فرد واحد حجة على جماعة شعارها ومذهبها التمسك بالكتاب والسنة حتى إنهم ليقولون : إن أول شرط الصوفى أن يكون واقفاً على حدود الشريعة، وأن لا ينحرف عنها قيد شعرة . فإذا هو تخطى هذا الشرط، ووصف نفسه بأنه صوفى، فقد اختلق لنفسه صفة ليست فيه وزعم ما ليس له) (4) . وقد اكتفيت فى هذه العجالة بالتنبيه فقط نسبة لأن هناك مجموعة من العلماء تحدثوا عن هذا الأمر ولم يتركوا شاردة ولا واردة إلا بينوها وأوضحوها، ولكى يكون القارئ على بصيرة من أمره ويتأكد من صحة هذا الكلام فليرجع إلى كتاب اليواقيت والجواهر أو لطائف المنن والأخلاق للشعرانى وكتاب حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسى يجد فيها الإفادة والاستفادة إن شاء الله تعالى .
وهناك أمر آخر ينبغى التفطن له وهو أن بعض المحققين فى الآونة الأخيرة حرفوا كثيراً من كتب السلف بزعم التحقيق والحفاظ عليها، وكان الأجدر بهم أن ينقلوا ما وجدوه من غير حذف وتغيير وإن وجدوا خطأً اكتفوا بالتعليق عليه على الهامش، أما أن

---

(1) حقائق عن التصوف، ص 484 .
(2) المصدر السابق، ص 485 .
(3) مدرسة سيدى أحمد بن إدريس المغربى وأثرها فى السودان - الفصل الرابع - آراؤه الفكرية - الفقه - السنة، ص 224 - نقلاً عن كتاب : ابن إدريس المسمى : المناظرة، ص20، 21 .
(4) حقائق عن التصوف، ص 499 .

يخفوا الحقائق عن القراء بغرض التحقيق فهذا أمر مخالف للصدق والأمانة العلمية، التى يجب على كل محقق الاتصاف بها .
ونحن لا نجهل ما بذله المحققون من جهد عظيم واهتمام واسع بتراثنا الإسلامى المتمثل فى مؤلفات سلفنا الصالح، ومن هؤلاء المحققين الصادقين الدكتور عبد الحليم محمود وأقرانه الذين استحقوا أن يكونوا أهلاً للاقتداء بهم فى ورعهم وتقواهم وصدقهم وأمانتهم فيما ينقلون .

(خلاصة) : من خلال هذه الأقوال التى أوردناها يتبين لك أخى القارئ بطلان ما يدعيه أعداء التصوف - زوراً وبهتاناً - أن الصوفية يهتمون بجانب الحقيقة فقط ويهملون جانب الشريعة وأنهم يعتمدون على كشفهم ومفاهيمهم ولو خالفت الشريعة - سبحانك هذا بهتان عظيم - وفى نفس الوقت يتضح لك ويظهر جلياً مدى تمسك أهل التصوف بالشريعة المحمدية الغراء .

منبع اشتقاق اسم الصوفية

لقد ذكرنا فى صدر الكتاب أننا لا نهتم بالمسميات والألفاظ بقدر اهتمامنا بالحقائق والأسس والغايات لعلمنا أنه لا إنكار على المسميات إلا إذا اتصف أصحابها بالانحراف . ولكن هناك بعضٌ من الناس ينظرون إلى المسميات ولا يهتمون بمعانيها ومدلولاتها، ومن منطلق إزالة الغبار عن كل أمر قد يكون سبباً لحجبهم عن رؤية التصوف بالصورة الصحيحة سوف نبين منبع إشتقاق اسم الصوفية لفظاً ومعنى فنقول وبالله التوفيق :

تعددت الأقوال فى اشتقاق اسم الصوفية ومعظمها انحصرت فى ثلاثة أقوال وهى :

1/ أنه مشتق من الصفاء .

2/ أنه مشتق من أهل الصُّفَّة .

3/ أنه مشتق من الصوف .

ولكى نستخلص من هذه الأقوال الأرجح لابد أن نقف عليها واحداً تلو الآخر .

فأما قولهم أنه مشتق من الصفاء فهذا لا يلائم الاشتقاق اللغوى لأنه لو كان كذلك لقيل : (صفائى أو صفاوى) وإن كان صحيحاً من حيث المعنى فالصفاء صفة من صفات الصوفية .

وأما قولهم أنه مشتق من أهل الصُّفَّة التى كانت للفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوى لأنه لو كان كذلك لقيل : (صُفِّى) ولكنه صحيح من حيث المعنى، لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك، لكونهم مجتمعين متآلفين متصاحبين لله وفى الله، كأصحاب الصُّفَّة، ولنقف قليلاً على ما ورد فى فضائلهم، قال الله تعالى فى شأنهم : (للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم) (1)، وكانوا نحواً من أربعمائة رجل، لم تكن لهم مساكن بالمدينة و لا عشائر، جمعوا أنفسهم فى المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثاً فى الزوايا والربط، وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة، كانوا يحتطبون ويرضخون (2) النوى بالنهار، وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرءان وتلاوته، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم، ويحث الناس على مواساتهم، ويجلس معهم ويأكل معهم، وفيهم نزل قوله تعالى : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) (3) وقوله تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) (4) ونزل فى ابن أم مكتوم

---

(1) سورة البقرة، الآية رقم : 273 .

(2) الرضخ : مثل الرضح، كسر الرأس، ويستعمل فى كسر النوى . أنظر : لسان العرب، ج 3، ص 196.

(3) سورة الأنعام، الآية رقم : 52 .

(4) سورة الكهف، الآية رقم : 28 .

قوله تعالى : (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) (1) وكان من أهل الصُّفَّة، فعوتب النبى صلى الله عليه وسلم لأجله، وكان إذا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يقول : (مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى عز وجل) (2) ويبسط له رداءه ويقول له : (هل لك من حاجة) . وقد كان منهم سيدنا بلال بن رباح، وسيدنا خباب ابن الأرت، وسيدنا صهيب بن سنان، وسيدنا عبد الله بن مسعود، وسيدنا عبد الله بن عمر، وسيدنا البراء بن مالك، وسيدنا سلمان الفارسى، وسيدنا أبوذر الغفارى، وسيدنا أبو سعيد الخدرى، وسيدنا زيد بن الخطاب، وسيدنا عكاشة بن محصن الأسدى، وسيدنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيدنا ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيدنا أبو هريرة، رضى الله عنهم أجمعين (3) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صافحهم لا ينزع يده من أيديهم، وكان يفرقهم على أهل الجدة والسعة يبعث مع واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة، وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته ثمانين يطعمهم . وقال أبوهريرة رضى الله عنه : (رأيت سبعين من أهل الصُّفَّة فى ثوب، فمنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من هو أسفل من ذلك، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته) (4) .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على أهل الصُّفَّة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال : (ابشروا يا أصحاب الصُّفَّة فمن بقى منكم على النعت الذى أنتم عليه اليوم راضياً بما هو فيه فإنه من رفقائى يوم القيامة) (5) .

وأما قولهم أنه مشتق من الصوف فهذا هو أرجح الأقوال الثلاثة لكونه ملائماً للاشتقاق اللغوى لأنه يقال : (تصوف) إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص، ولكونه أعمق من حيث المعنى فهناك معانى مشتركة بين لفظ صوفى وصوفة، فالصوفى هيِّنٌ ليِّنٌ للخَلْق يألف ويؤلف لا بالفظ ولا الغليظ ولا المتعالى - وليس المقصود هو التهاون فى أمر الدين بتضييع المأمورات وارتكاب المحرمات - فكذلك الصوفة متصفة باللين والمرونة . والصوفى لا تدبير له ولا إرادة ولا اختيار مع ربه جل وعلا فهو مستسلمٌ لقضائه وقدره، قال تعالى : (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) (6) فكذلك الصوفة المطروحة لا تدبير لها .

---

(1) سورة عبس، الآيتان رقم 1، 2 .
(2) أنظر: تفسير سورة عبس فى حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى - تفسير القرطبى .
(3) أنظر : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبو نعيم الأصفهانى، ج1، ص349، 359، 373، 375 . ج2، ص7 . ج1، ص 350، 367، 352، 369، 367 . ج2، ص12. ج1، ص 368، 350، 376 .
(4) المصدر السابق، ج 1، ص 341 .
(5) عوارف المعارف، ص 63 .
(6) سورة القصص، الآية رقم : 68 .

والأصل فى ذلك أن الصوف هو لباس الأنبياء وشعار الأصفياء وقد ورد فى ذلك كثير من الأحاديث والآثار، وإليك بعضاً منها :

1/ عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويعتقل الشاة ويأتى مراعاة الضيف) (1).

2/ عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : جاءت امرأة ببردة (2)، قال سهل : هل تدرون ما البردة ؟ قالوا : نعم هذه الشملة (3) منسوج فى حاشيتها . فقالت : يا رسول الله إنى نسجت هذه بيدى أكسوكها فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها فخرج إلينا وإنها لإزاره (4) .

3/ عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعليه جبة رومية من صوف ضيقة الكمين . فصلى بنا فيها ليس عليه شئ غيرها (5) .

4/ قولـه صلى الله عليه وسلم : (كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام ، على ناقة حمراء جعدة (6)، عليه جبة من صوف، خُطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ (7) وهو يلبى) (8) .

5/ عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف وجبة صوف وكمة(9) صوف وسراويل صوف ...الخ)(10) .

6/ وقيل أن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر، ويأكل من الشجر، ويبيت حيث أمسى (11) .

7/ عن عبد الله قال : كانت الأنبياء يستحبون أن يلبسوا الصوف ويحتلبوا الغنم ويركبوا الحمر (12) .

8/ عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الإيمان فى قلوبكم) (13) .

---

(1) أخرجه الحاكم فى المستدرك، كتاب الإيمان .
(2) البردة : كساء أسود مربع فيه صغر تلبسه الأعراب، والجمع بُرَد . أنظر : مختار الصحاح، ص 47.
(3) الشملة : كساء من صوف أو شعر يُتَغَطَّى به وَيُتَلَفَّفُ به أنظر : المعجم الوسيط، ج 1، ص 514.
(4) أخرجه النسائى فى سننه، كتاب الزينة .
(5) أخرجه ابن ماجه فى سننه، كتاب اللباس .
(6) جعدة : مكتنزة اللحم .
(7) خلبة : حبل من ليف .
(8) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان، عن ابن عباس رضى الله عنهما .
(9) كمة : قلنسوة (أى طاقية) أنظر : لسان العرب، ج 15، ص 431 .
(10) أخرجه الترمذى فى سننه باب ما جاء فى لبس الصوف، وأخرجه الحاكم بلفظ مختلف فى المستدرك، كتاب الإيمان، وقال : هذا حديث كبير فى التصوف .
(11) عوارف المعارف، ص 60 .
(12) أخرجه الحاكم فى المستدرك، كتاب اللباس .
(13) المصدر السابق، كتاب الإيمان .

9/ عن السائب بن يزيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر) قالوا : يا رسول الله هلكنا، وكيف لنا أن نعلم ما فى قلوبنا من ذلك الكبر وأين هو ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لبس الصوف أو حلب الشاة أو أكل مع ما ملكت يمينه فليس فى قلبه إن شاء الله الكبر) (1) .
10/ عن حارثة بن مضرب عن على رضى الله عنه قال : (كان سيمانا يوم بدر الصوف الأبيض) (2) .
11/ وعن أبى بردة رضى الله عنه قال : قال لى أبى : (يا بنى لو رأيتنا ونحن مع نبينا صلى الله عليه وسلم وقد أصابتنا السماء، حسبت أن ريحنا ريح الضأن) (3) وذلك لأن لباسهم كان الصوف .
12/ وجاء فى تفسير القرطبى لقوله تعالى : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) (4) عن سلمان الفارسى رضى الله عنه : جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عيينة بن حصن والأقرع بن حابس فقالوا : يارسول الله، إنك لو جلست فى صدر المجلس ونحيت عنّا هؤلاء وأرواح جبابهم - يعنون سلمان وأباذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها - جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى : (واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا * واصبر نفسك ...الخ) (5) (6).
13/ وقال الحسن البصرى رضى الله عنه : (لقد أدركت سبعين بدرياً كان لباسهم الصوف) (7) .

وقد ذكر السهروردى فى كتابه - عوارف المعارف - بعضاً من هذه الأحاديث وقال تعليقاً عليها : (فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سُموا صوفية، نسبة لهم إلى ظاهر اللبسة، لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق، ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام ... فكان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا، وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة، واستغراقهم فى أمر الآخرة . فلم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحتها، لشدة شغلهم بخدمة مولاهم، وانصراف هممهم إلى أمر الآخرة - إلى أن قال - ولما كان حالهم بين سير وطير لتقلبهم فى الأحوال وارتقائهم من عالى إلى أعلى منه لا يقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت، وأبواب المزيد علماً وحالاً عليهم مفتوحة، بواطنهم معدن الحقائق ومجمع

---

(1) المعجم الكبير، للطبرانى، ج 7، ص 153 .
(2) السنن الكبرى، للبيهقى، ج 5، ص 192 .
(3) أخرجه أبو داوود فى سننه، كتاب اللباس، باب فى لبس الصوف والشعر .
(4) سورة الكهف، الآية رقم : 28 .
(5) سورة الكهف، الآيتان رقم : 27، 28 .
(6) تفسير القرطبى، ج 10، ص254 .
(7) عوارف المعارف، ص 63 .

العلوم، فلما تعذر تقلدهم بحال تقيدهم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم، نسبوا إلى ظاهر اللبسة، وكان ذلك أبين فى الإشارة إليهم، وأدعى إلى حصر وصفهم، لأن لبس الصوف كان غالباً على المتقدمين من سلفهم.... ولما كان الاعتزاء إلى القرب وعظم الإشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والإشارة إليه وقعت الإشارة إلى زيهم ستراً لحالهم وغيرةً على عزيز مقامهم أن تكثر الإشارة إليه وتتداولـه الألسنة، فكان هذا أقرب إلى الأدب، والأدب فى الظاهر والباطن، والقول والفعل، عماد أمر الصوفية . وفيه معنى آخر : وهو أن نسبتهم إلى اللبسة تنبئ عن تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى عن الملبوس الناعم، حتى أن المبتدئ المريد الذى يؤثر طريقهم، ويحب الدخول فى أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل، ويعلم أن المأكول أيضاً من جنس الملبوس، فيدخل فى طريقهم على بصيرة . وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدئ، والإشارة إلى شئ من حالهم فى تسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات، وكان تسميتهم بهذا أنفع وأولى، وأيضاً غير هذا المعنى مما يقال : إنهم سموا صوفية لذلك يتضمن دعوى . وإذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان أبعد من الدعوى، وكل ما كان أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم . وأيضاً لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم، ونسبتهم إلى أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن، والحكم بالظاهر أوفق وأولى . فالقول بأنهم سموا صوفية للبسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع .... والانكسار والتخفى والتوارى، كانوا كالخرقة الملقاة، والصوفة المرمية التى لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها، فيقال : (صوفى) نسبة إلى الصوفة، كما يقال : (كوفى) نسبة إلى الكوفة، وهذا ما ذكره بعض أهل العلم . والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق، ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد (1) . (إيضاح) وليس طريقهم مقيد بلباس الصوف، ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به وإنما أُضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال .

(لطيفة) قال المحقق أبو حفص الفاسى المالكى : (ظهر لى - يعنى اسم الصوفية - أنه منسوب إلى الصوف، لأنه فى الغالب شعاره ودثاره (2) ولأن هذا اللفظ - يعنى لفظ صوف - مشتمل على ثلاثة أحرف منقطعة من ثلاث كلمات دالة على ثلاثة معان هى أوصافه المختصة به، فالصاد من الصفاء، والواو من الوفاء، والفاء من الفناء) . قال العلامـة ابن الحـاج المالكى : وقد أشرت إلى ذلك فى ثلاثة أبيات، فقلت :

صَفَا مَنْهَلُ الصُّوفى عَنْ عِلَلِ الهَوَى ... فَمَا شَـابَ ذَاكَ الـوِرْدَ مَـنْ نَفْسُهُ حَـظُّ
وَوَفَّى بِعَـهْدِ الحُبِّ إِذْ لـمَ يَكُنْ لَـهُ ... إلى غَيْرِ مَـنْ يَهْـوىَ التِفَاتٌ وَلَا لَحْظُ
مَـحَـتْ آيَـةَ الإِظْلَامِ شَـمْسُ نَـهـارِهِ ... وَقَدْ ذَهَبَتْ مِنْهُ الإِشَـارَةُ واللَّفْظُ (3)

---

(1) المصدر السابق، ص 60، 61، 62 .
(2) الشعار : - بالكسر - ما ولى الجسد من الثياب، والدثار : ما كان فوق الشعار من الثياب، وهو أيضاً بالكسر .
(3) الإعلام، ص 9 .

(فإن قيل) نسب أصحاب الحديث إلى الحديث والفقهاء إلى الفقه فلم قلت الصوفية ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم ولم تضف إليهم حالاً كما أضيف الزهد إلى الزهاد والتوكل إلى المتوكلين والصبر إلى الصابرين ؟ (فالجواب) كما قال سيدى أبو نصر السراج الطوسى فى كتابه اللمع ولفظه : (لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم، ومحل جميع الأحوال المحمودة والأخلاق الشريفة سالفاً ومستأنفاً، وهم مع الله تعالى فى الانتقال من حال إلى حال مستجلبين للزيادة، فلما كانوا فى الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسماً دون اسم، فلأجل ذلك ما أضفت إليهم حالاً دون حال، ولا أضفتهم إلى علم دون علم، لأنى لو أضفت إليهم فى كل وقت حالاً هو ما وجدت الأغلب عليهم من الأحوال والأخلاق والعلوم والأعمال وسميتهم بذلك، لكان يلزم أن أسميهم فى كل وقت باسم آخر، وكنت أضيف إليهم فى كل وقت حالاً دون حال على حسب ما يكون الأغلب عليهم، فلما لم يكن ذلك نسبتهم إلى ظاهر اللبسة، لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء وتكثر فى ذلك الروايات والأخبار، فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسماً محملاً عاماً مخبراً عن جميع الأعمال و الأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة وفى الحقيقة إن الانتساب إلى الأماكن أو الملبوسات ليس أمراً مبتدعاً ولا مذموماً وقد نسب الله سبحانه وتعالى الفتية الذين آمنوا بربهم - وخالفوا ملة قوم الجاهلية - إلى المكان الذى آووا إليه وسماهم بأصحاب الكهف . وأيضاً قد ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام فنسبهم إلى ظاهر اللبسة فقال عز وجل : (إذ قال الحواريون) (1) وكانوا قوماً يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى إلى ذلك ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التى كانوا مترسمين، فكذلك الصوفية، نسبوا إلى ظاهر اللباس ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التى هم بها مترسمون، لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين والمتنسكين (2)، وفى الحديث : (كانت الأنبياء يستحبون أن يلبسوا الصوف) (3). وقد ذكرنا فى الصفحات الماضية جملة من الأحاديث والآثار التى وردت فى هذا الشأن .

(فإن قيل)لم نسمع بذكر اسم الصوفية فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صوفى !

(فالجواب) كما ذكره الإمام القشيرى فى رسالته ولفظه : (إعلموا رحمكم الله تعالى أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسم أفاضلهم فى عصرهم بتسمية سوى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة ولما أدركهم

---

(1) سورة المائدة، الآية رقم : 112 .
(2) اللمع، ص23، 24 . بتصرف .
(3) سبق تخريجه .

أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة - التابعين - ورأوا فى ذلك أشرف سمة (1) ثم قيل لمن بعدهم - أتباع التابعين - ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين - الزهاد والعباد - ثم ظهرت البدع وحصل التداعى (2) بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم (3) مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم (التصوف)، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة) (4) وقد بَيَّنَّا آنفاً فى موضوع (نشأة علم التصوف) متى كان ظهور اسم الصوفية .

---

(1) أى علامة .
(2) أى التنازع .
(3) الدائمون على الإشتغال بالعبادة مع المراقبة فلا يخرج لهم نفس إلا حاسبوا أنفسهم عليه .
(4) الرسالة القشيرية، ص 43 .

صفة الصوفية ومن هم؟

قبل أن نتحدث عن صفة الصوفية ومن هم ينبغى علينا أن نعلم أن الصوفى فى الحقيقة لا يفارق السلف فى معتقده ولا يفارق الفقهاء فى معتمده لأن العقائد رأس ماله، والأحكام أساس أعماله، فهو آخذ بالأحوط من المأمورات، مجتنب للمنهيات، مقتصر على الضروريات من المباحات، همه تخلية القلب من الرذائل، وتحليته بالفضائل، متبعاً فى ذلك أصحاب الحديث، لما هم عليه فى ذلك من التحقيق والتثبيت، غايته إفراد القلب لله دون سواه .

قيل لسيدى عبد الواحد بن زيد من الصوفية عندك ؟ قال : (القائمون بعقولهم على فهم السنة، والعاكفون عليها بقلوبهم، والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم) (1) .

وقال سيدى أبو تراب النخشبى : (الصوفى لا يكدره شئ، ويصفو به كل شئ) (2) .

وقال سيدى ذو النون المصرى : (الصوفية آثروا الله عز وجل على كل شئ، فآثرهم الله عز وجل على كل شئ، فكان من إيثارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم، وإرادة الله على إرادة نفوسهم) (3) . وأنشد بعضهم :

قَوْمٌ هُمُومُهُمُ بِالله قَدْ عَلُقَتْ فَمَـا لَهُمُ هِـمَمٌ تَسْمُـوا إِلـى أَحَـدِ
فَمَطْلَبُ القَوْمِ مَوْلاَهُمْ وَسَيِّدَهُمْ يَاحُسْـنَ مَطْلَبِهِمْ لِلْوَاحِدِ الصَّمَدِ (4)

وسئل سيدى أبو يزيد البسطامى عن الصوفى فقال : (هو الذى يأخذ كتاب الله بيمينه وسنة رسوله بشماله، وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة وبالأخرى إلى النار، ويأتزر بالدنيا ويرتدى بالآخرة ويلبى من بينهما للمولى : لبيك اللهم لبيك) (5) .

وقال سيدى سهل بن عبد الله التُّسْتَرى : (الصوفى من صفا عن الكدر، وأمتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر)(6).

وسئل سيدى أبو الحسين النورى عن الصوفى فقال : (من سمع السماع وآثر الأسباب) (7) (8) أى سمع ما يحثه إلى القرب من المحبوب واستسلم لقضائه وقدره .

---

(1) عوارف المعارف، ص 49 .
(2) الرسالة القشيرية، ص 467 .
(3) عوارف المعارف، ص 57 .
(4) المصدر السابق، ص 58 .
(5) حقائق عن التصوف، ص 485 .
(6) الإعلام، ص 8 .
(7) الأسباب هى فعل المأمورات وترك المنهيات .
(8) الرسالة القشيرية، ص 468 .

وقال أيضاً : (نعت الصوفى السكون عند العدم والإيثارعند الوجود) (1) أى ساكن للتسليم مع القضاء، كريم يؤثر غيره على نفسه .

وقال سيدى الإمام أبو القاسم الجنيد : (الصوفى كالأرض يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شئ، وكالقطر يسقى كل شئ) (2) .

وسئل سيدى ابن الجلاء : (ما معنى قولهم صوفى ؟ فقال ليس نعرفه فى شرط العلم، ولكن نعرف أن من كان فقيراً مجرداً من الأسباب وكان مع الله تعالى بلا مكان، ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان سمى صوفياً) (3) .

وقال سيدى أبو بكر الكتانى : (الصـــوفى من عزفت نفســـه عـن الدنيا تظرفاً، وعلت همته عن الآخرة، وسخت نفسه بالكل، طلباً وشـــوقاً إلى من له الكل) (4).

وقال سيدى أبو نصر عبد الله بن على الطوسى : (إذا قيل لك الصوفية من هم حقيقة ؟ صفهم لنا فقل : هم العلماء بالله وبأحكام الله، العاملون بما علمهم الله تعالى، المتحققون بما استعملهم الله عز وجل، الواجدون بما تحققوا، الفانون بما وجدوا، لأن كل واجد فنى بما وجد) (5) .

وقال سيدى عبد القادر الجيلانى : (الصوفى من قطع الطريق ووصل إلى من له القطع والوصل) (6) .

وقال سيدى أبو حفص السهروردى : (الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية، لا يزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس، ويعينه على كل هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه، فبدوام الافتقار ينقى من الكدر، وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة وفر منها إلى ربه، فبدوام تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره، فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه، قال الله تعالى : (كونوا قوامين لله شهداء بالقسط) (7) وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف) (8) .

(لطيفة) : قال أبو محمد رويم بن أحمد : (إجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك وأنا عطشان، فاستقيت من دار، ففتحت الباب صبية ومعها كوز، فلما رأتنى قالت : صوفى يشرب بالنهار، فما أفطرت بعد ذلك اليوم قط) (9) . أى ما عدا الأيام التى يحرم صومها بالطبع كالعيدين، فالاستثناء فيها واضح القرينة .

---

(1) المصدر السابق، ص 466 .
(2) المصدر السابق .
(3) اللمع، ص 27 .
(4) الرسالة القشيرية، ص 109 .
(5) اللمع، ص 28 .
(6) قواعد الأخلاق، ص 32 .
(7) سورة المائدة الآية رقم : 8 .
(8) عوارف المعارف، ص 59 .
(9) الرسالة القشيرية، ص 86 .

وسئل آخر عن معنى الصوفى فقال : (معناه أن العبد إذا تحقق بالعبودية وصافاه الحق حتى صفا من كدرات البشرية، نزل منازل الحقيقة وقارن أحكام الشريعة، فإذا فعل ذلك فهو صوفى، لأنه قد صوفى) (1) .

وقال بعضهم : (الصوفى من إذا استقبله حالان أو خلقان كلاهما حسن، كان مع الأحسن منهما) (2) .

قلت : أين لى أن أصف الصوفية مع وصف أولئك الأئمة الأعلام، ولكن من باب الاقتداء بهم سوف أذكر بعض ما يسره الله لى . فأقول وبالله التوفيق : الصوفية هم من تخلقوا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعلقوا بجنابه، وتمسكوا بشريعته، فخصهم الله عز وجل بالاصطفاء والاجتباء حتى صارت قلوبهم خالية مما سواه، صافية بدوام ذكره، وألسنتهم لا تفتر عن التقديس والتحميد، ونفوسهم طاهرة من جميع كدورات البشرية، متخلية عن حظوظها، فانية عن لذاتها، باقية بالله عز وجل، لا تخاف سواه ولا ترجو غيره، هم ما بين الخوف والرجاء، والدعاء والالتجاء، أجسادهم مع الخلق وقلوبهم مع الخالق، وكأن لسان حالهم يقول :

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فـى الفُؤَادِ مُحَدِّثى وَأَبَحْتُ جِسْمِى مَنْ أَرَاد جُلُوسى
فَالْجِسْمُ مِـنـّى لِلْجَلِيسِ مُـؤَانِسٌ وَحَبِيبُ قَلْبِى فـى الفُـؤَادِ أَنِيسى

هم مع الله فى كل حال، لم تكن نظرتهم للذات الدنيا ولا لنعيم الآخرة، إنما كانت لله عز وجل فى ما يطلبون من النظر إلى وجهه الكريم، ولو لحظة يتمنونها، يسهرون الليالى بالتعبد والصلاة، يسكبون عبراتهم شوقاً وتلهفاً، كل هذا يتمنون به ولو نظرة لحظة لله عز وجل تعدل بنعيمى الدنيا والآخرة، ولو علموا أن رضاءه فى غير دخول الجنة لما طلبوها، فهم لا يرجون غير رضاءَه، لا ييأسون من رحمته، ولا يسيئون الظن بخلقه، يعاملون الخلقَ بحسن الخُلقِ ومعاشرة المعروف، لا يستصغرون منهم أحداً، ينظرون إليهم بنظرة الشفقة والرحمة، وبهذا نالوا ما نالوا من الدرجات العلية والمقامات المرضية، نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بهم وببركاتهم ويجعلنا من المتأسين بهم والمحشورين معهم تحت لواء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(1) اللمع، ص 28 .
(2) الرسالة القشيرية، ص 468 .

بين الصوفية وأدعياء التصوف

لقد شوه التصوف رجال مغرضون تزيوا بزيه وانتسبوا له فأساءوا إليه بأقوالهم وأفعالهم وسيرتهم والتصوف منهم برئ .

فمن أجل خدمة الحق وإظهاره علينا أن نفرق بين أدعياء التصوف المنحرفين، وبين السادة الصوفية الصادقين العارفين، وخصوصاً الأئمة منهم الذين كانت لهم درجات عليا فى العلم والإيمان و التقوى والورع، وآثار كبرى فى نشر الأخلاق والدين والدعوة إلى الله تعالى فى سائر العصور والبلدان، وعلينا أن نقف وقفة رجل متمسك بشرعه ودينه ونقول : هناك فرق كبير بين من يَدَّعِى التصوف والصوفى الحقيقى، وليس مُدَّعى التصوف بانحرافه وشذوذه ممثلاً للتصوف، كما أن المسلم بأفعاله المنكره ليس ممثلاً للإسلام .

ومتى كان فى شريعة الحق والدين أن يؤاخذ الجار بظلم الجار ؟ وأن يتحمل الإسلام فى جوهره النقى أخطاء المسلمين المنحرفين ؟ وأن تنسب إلى هذه الفئة الطيبة النقية أخطاء أدعياء التصوف الشاذين ؟

وإنكار بعض العلماء على أفعال شاذة منسوبة إلى الصوفية إنما يستهدف هؤلاء الغلاة المنحرفين من أدعياء التصوف . ولطالما حذر مرشدو الصوفية الناس منهم وبينوا أن التصوف مبنى على الكتاب والسنة (1) .

(إخوانى) إن الخير والشر موجود فى كل طائفة من الناس إلى يوم القيامة، فليس كل الصوفية سواء، كما أنه ليس كل العلماء والفقهاء والمدرسين والقضاة والتجار والأمراء سواء، إذ فيهم الصالح وفيهم الأصلح، وفيهم الفاسد وفيهم الأفسد، هذا أمر ظاهر لا شبهة فيه عند الجمهور، أعرف الحق، تعرف أهله، ويعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال .

ونحن ننكر ما أنكره العلماء على هؤلاء الأدعياء المنحرفين الدخلاء على التصوف، الشاذين عن دين الله تعالى، وأما المتمسكون بالكتاب والسنة، المستقيمون على شرع الله تعالى فهم الذين نعنيهم ونقتفى أثرهم (2) .

---

(1) أنظر : باب أقوال أئمة التصوف فى التمسك بالشريعة الغراء .

(2) حقائق عن التصوف، ص 558 . بتصرف .

حكمة تعدد الطرق الصوفية

تعدد الطرق الصوفية لا قدح فيه فهى مدارس ومشارب شأنها فى ذلك شأن المذاهب الأربعة أو أكثر، والتى على تعددها لم يؤد بنا القول لأن نقول إن الإسلام متعدد أو مختلف، فالحق له سبل متعددة كما أن للباطل سبل متعددة وقد جاء فى تفسير العلماء لقوله تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (1) فسَّر بعضهم كلمة (سبل) بالبدع والضلالات (2) وآخرون بسبل الشيطان (3) وآخرون بالأديان الباطلة (4) وكل هذه الأقوال تصب فى معنى واحد وهى سبل الباطل المتعددة . وتأمل بإمعان قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (5) . إذاً فهناك سبل شتى توصل العبد إليه تعالى كما قال تعالى : (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) (6) . وقد اعتز بها الأنبياء فقالوا (ومالنا ألّا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) (7) وهذه السبل القويمة تمضى متجاذبة فى اتجاه واحد فكأنها طريق واحد ولذلك جاءت أكثر من آية بلفظ المفرد نحو (سبيلى) (8) (سبيل) (9) (سبيل ربك) (10) لاتحاد البداية والنهاية فهى مجتمعة صراط الله المستقيم الواحد . وكما ذكر الله سبحانه وتعالى سبل الحق بلفظ المفرد فقد ذكر سبل الباطل بلفظ المفرد أيضاً وذلك فى قوله تعالى : (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا) (11) وقوله تعالى: (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) (12) .

فالتعدد والاختلاف فى الطرق الصوفية ليس هو فى الجوهر وإنما هو فى الوسيلة والأساليب والمشارب فالطرق الصوفية على تعددها سبل وصول إلى الله تعالى، لتلائم حاجات كل سالك إليه فيجد فيها كل ما يريد وما يناسب طاقته ووقته وذوقه وبيئته قطعاً لأعذار القاعدين عن الهجرة إلى الله عز وجل .

---

(1) سورة الأ نعام، الآية رقم : 153 .
(2) أنظر : تفسير القرطبى، ج 7، ص90 - تفسير النسفى، ج 2، ص40 .
(3) أنظر : تفسير ابن كثير، ج2، ص182 - تفسير الفخر الرازى، ج14، ص 4 .
(4) أنظر : حاشية الصاوى على تفسير الجلالين، ج 2، ص57 - تفسير البيضاوى، ج 2، ص466، 467 .
(5) سورة العنكبوت، الآية رقم : 69 .
(6) سورة المائدة، الآية رقم : 16 .
(7) سورة إبراهيم، الآية رقم : 12 .
(8) إشارة إلى قوله تعالى: (قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) سورة يوسف، الآية رقم : 108.
(9) إشارة إلى قوله تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) سورة النساء، الآية رقم : 115 .
(10) إشارة إلى قوله تعالى: (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) سورة النحل، الآية رقم : 125.
(11) سورة الأعراف، الآية رقم : 146 .
(12) سورة الأنعام، الآية رقم : 55 .

والمتأمل يجد أن الطرق الصوفية جميعاً تبدأ بالتوبة وتنتهى بالمعرفة، فمنها المنهج القائم على الذكر القلبى، ومنها القائم على الخلوة، ومنها القائم على الذكر الجهرى والقلبى، ....الخ وقد ذكر الله سبحانه وتعالى حالات الذكر المتعددة فى قوله تعالى : (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض) (1) ونجد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم جماعات إسلامية متعددة :

أ/ جماعة آل البيت :

وهؤلاء هم الذين خصهم الله بالخطاب الإلهى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (2) . قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : خرج النبى صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل (3) من شعر أسود فجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (4) .

فنجد جميع أئمة التصوف ينتمون لآل البيت وهم الإمام على وابناه السبطان نسبة وسنداً أو سنداً فقط .

فالذين ينتمون إلى الإمام الحسن هم :

1/ سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى شيخ ومؤسس الطريقة القادرية .

2/ سيدى الشيخ أبو الحسن الشاذلى شيخ ومؤسس الطريقة الشاذلية .

3/ سيدى الشيخ أحمد بن إدريس شيخ ومؤسس الطريقة الإدريسية .

أما الذين ينتمون إلى الإمام الحسين فهم :

1/ سيدى الشيخ أحمد الرفاعى شيخ ومؤسس الطريقة الرفاعية .

2/ سيدى الشيخ أحمد البدوى شيخ ومؤسس الطريقة الأحمدية.

3/ سيدى الشيخ إبراهيم الدسوقى شيخ ومؤسس الطريقة الدسوقية .

وهؤلاء كلهم من أهل البيت الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً لا نسأل عنه أحداً بعده : (إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وأهل بيتى، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض) (5) .

فالسادة الصوفية وكتاب الله وتعاليمه لا يفترقان حتى يردا الحوض يوم القيامة .

ب/ جماعة المهاجرين .

ج/ جماعة الأنصار .

---

(1) سورة آل عمران، الآية رقم : 191 .

(2) سورة الأحزاب، الآية رقم : 33 .

(3) مرط : كساء، مرحل : مُوشَّى ومنقوش عليه .

(4) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب فضائل الصحابة .

(5) أخرجه الحاكم فى المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن زيد بن أرقم رضى الله عنه .

قال تعالى فى شأن المهاجرين والأنصار : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) (1) .

د/ جماعة أهل الصفة، قال تعالى فى شأنهم : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) (2) .

هـ/ جماعة أهل بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً لنا علو مقامهم ورفعة شأنهم : (لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم) (3) .

و/ جماعة بيعة الرضوان . قال تعالى : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً) (4) .

فكلها جماعات إسلامية نشأت فى وقت واحد، وتدعوا لفكر واحد، ومنضوية تحت لواء واحد، ولكن لكل ما استحق من المزايا، وكلهم مجتهد عدول، والله عز وجل قد زكاهم وكذلك رسول صلى الله عليه وسلم، ولكل جماعة إمام وقد علم كل أناس مشربهم .

يقول الله تعالى : (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) (5) . فكل أناس سموا أنفسهم بأسماء أئمتهم أى موافقة بما يسميهم به الله يوم القيامة، وهذه الأسماء مسميات أزلية فإن لم ندعهم بها اليوم فسوف يدعوهم بها الله يوم القيامة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أسلم سالمها الله، و غفار غفر الله لها، أما إنى لم أقلها ولكن قالها الله) (6) .

فالخير له أئمة ودعاة كما أن للشر أئمة ودعاة أنظر إلى هاتين الآيتين لتعرف حقيقة ذلك قال تعالى : (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) (7) وقال تعالى : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) (8) .

حتى فرعون (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود) (5) فيقول الله لهم : (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) (6) .

---

(1) سورة التوبة، الآية رقم : 100 .
(2) سورة الكهف، الآية رقم : 28 .
(3) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب المغازى، باب فضل من شهد بدراً، عن على رضى الله عنه.
(4) سورة الفتح، الآية رقم : 18 .
(5) سورة الإسراء، الآية رقم : 71 .
(6) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(7) سورة الأنبياء، الآية رقم : 73 .
(8) سورة القصص، الآية رقم : 41 .
(5) سورة هود، الآية رقم : 98 .
(6) سورة غافر، الآية رقم : 46 .

ومع اختلاف هذه المسميات والبيوتات سواء فى عهد النبوة أو فى عهدنا هذا لم نجدهم إلا أشداء على الكفار رحماء بينهم، ولم يقتتلوا حتى يصلح الناس بينهم، بل اعتصموا بحبل الله جميعاً، ولم يتفرقوا فألف الله بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً، ولم يرتابوا ولم يختلفوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وأولئك هم الصادقون .

دخل الشيخ عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه بستاناً فى فصل الربيع فنظر إلى اختلاف أزهاره وأنواره ثم رفع رأسه وقال : (من أراد أن يعرف اختلاف الأولياء وتباينهم فى المقامات والأحوال مع كونهم على هدى وصواب وحلاوتهم فى قلوب الناس فلينظر إلى اختلاف هذه الأنوار والأزهار مع حلاوتها فى القلوب) .

فهذا هو اختلاف المدارس والمشارب الصوفية (1) .

(1) الوهابية خطة سياسية أم دعوة دينية، تأليف السيد محمد الأمين العمرابى، ص 78، 79، 80 . بتصرف .

دور الصوفية فى الجهاد ونشر الإسلام

يعتقد كثير من الناس أن الصوفية ليس لهم دور فى الجهاد ونشر الإسلام وأنهم انحصروا فى فئة المنقطعين للعبادة فقط، وهذا ليس بصحيح، فكما أن هناك فئة من الصوفية الذين اشتهروا بالانقطاع للعبادة، فهناك أيضاً الصوفية العلماء والمجاهدون والمرشدون والسالكون ....الخ فليس الصوفية منحصرين فى مجال واحد دون آخر، بل لهم آثار وبصمات واضحة فى كل المجالات التى بها إسعاد الخلق وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومنهم من وفق فى جميع هذه المجالات وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

قال تعالى : (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم*إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وءآثارهم وكل شئ أحصيناه في إمام مبين) (1) . ونقف عند قوله تعالى : (ونكتب ما قدموا وءآثارهم) وذلك أن آثار كل إنسان إنما تتناسب مع ما قدم، وبعض الناس يمر فى هذه الحياة لا تكاد تشعر بوجوده الحياة، وبعضهم يغادرها وقد ترك فيها عبيراً يتفوح بالطيب فى أكثر من إقليم، وأريجاً من الروح يتنسمه الآلاف فى أكثر من بقعة، وشعاعاً من النور يتألق فى أكثر من مكان، يتركها وقد سن سناً حسنة ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة .

يتركها وقد ربَّى أتباعاً باعوا نفوسهم لله، أتباعاً اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بثمن هو الجنة (2)، ولقد كانت وما زالت آثار الصوفية فى نشر الإسلام مشرقة ساطعة متألقة كالبدر فى كبد السماء، مكتوبة بأحرف من نور على سطور التاريخ، كيف لا وقد انتهجوا كل السبل المشروعة لنشر الإسلام، بسيف الجهاد تارة وتارة أخرى بسيف الإحسان والحكمة والموعظة الحسنة، ولا يستطيع أحد أن يحصر ما قام به الصوفية فى نشر الإسلام، ونحن هنا سوف نذكر بعضاً من المعارك المشهورة التى كان لأهل التصوف نصيب الأسد فيها من بطولة وشجاعة وإقدام، وكما قلنا آنفاً أن الصوفية مدارس ومشارب مختلفة إلا أن كل هذه المدارس كان لها صولات وجولات فى الجهاد ونشر الإسلام، ونذكر فى هذا المقام مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلانى فى العاصمة بغداد التى تسلمت زمام القيادة لحركة الإصلاح والتجديد، ولقد ركزت نشاطها فى عدة ميادين : الأول : تخريج القيادات اللازمة للعمل الإسلامى ونشر رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . الثانى : تنسيق العمل الإسلامى بين مدارسه المختلفة . الثالث : وضع مناهج العمل التربوى والدعوى ورسم خططه وبرامجه .

---

(1) سورة يس، الآيتان رقم : 11، 12 .
(2) أقطاب التصوف، تأليف الدكتور عبد الحليم محمود، ص 10 .

أسس هذه المدرسة الشيخ عبد القادر الجيلانى وقاد نشاطاتها مدة نصف قرن من الزمان، حتى صار لها امتداداتها وصلاتها فى العالم الإسلامى كله .

وحينما قامت الدولة الزنكية، تلاحم خريجو هذه المدرسة مع الدولة الجديدة ليشاركوا فى تحمل مسؤلياتها فى مجابهة التحديات القائمة (1) .

وتدل الأخبار المتعلقة بالمدرسة على أنها لعبت دوراً رئيسياً فى إعداد جيل المواجهة للخطر الصليبى فى البلاد الشامية . فقد كانت المدرسة تستقبل أبناء النازحين الذين فروا من مواجهة الاحتلال الصليبى، ثم تقوم بإعدادهم ثم إعادتهم الى مناطق مواجهة الدائرة تحت القيادة الزنكية . ولقد اشتهر - فيما بعد - نفر من هؤلاء الطلاب (2) على رأسهم القائد صلاح الدين الأيوبى (3)، وابن نجا الواعظ الذى أصبح فيما بعد مستشار صلاح الدين السياسى والعسكرى، والحافظ الرهاوى، وموسى بن الشيخ عبد القادر الذى انتقل الى بلاد الشام ليسهم فى النشاط الفكرى، وموفق الدين - صاحب كتاب المغنى - وأحد مستشارى صلاح الدين، وقريبه الحافظ عبد الغنى اللذين وفدا للالتحاق بمدرسة الشيخ عبد القادر بعد أن نزحت أسرتاهما من جماعيل فى منطقة نابلس إلى دمشق (4) .

ولقد كان لمدرسة الشيخ عبد القادر الجيلانى رحمه الله تعالى، فضل كبير فى نشر الدين الإسلامى فى الأمصار البعيدة التى لم تصل إليها جيوش المسلمين فدعوهم إلى الإسلام، ومن بين هذه الأمصار الهند وإندونيسيا والصين وأفريقيا وجزر المحيط الهندى، كما أسلم بدعوتهم قبائل التتر والمغول .

ولم يكن ذلك غريباً على هذه المدرسة، إذ كان الشيخ عبد القادر الجيلانى يوثق الصلة بينه وبين نور الدين زنكى رحمهما الله تعالى، فكان نور الدين زنكى يرسل أبناء القدس إلى بغداد ليدرسوا فى مدرسة الشيخ عبد القادر، ثم يعودون إلى مناطق الثغور قادة ودعاة مرشدين، وكل من تخرج من هذه المدرسة قد شارك فى معركة حطين، فى مقدمتهم صلاح الدين الأيوبى، ففتح الله تعالى على أيديهم بيت المقدس وطهرها من براثن الصليبية (5) .

وكان أتباع مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلانى فى طليعة المدافعين عن مدينة بغداد، عندما حاصرتها غارات الأتراك الذين استولوا على ولاية نيسابور مع الجيش وأهالى بغداد، وكان الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر الجيلانى رحمهما الله تعالى قائداً

---

(1)هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، تأليف الدكتور ماجد عرسان الكيلانى، ص 171، 172.
(2) المصدر السابق، ص 181 .
(3) قواعد الأخلاق، ص354 .
(4) هكذا ظهر جيل صلاح الدين، ص 181 .
(5) قواعد الأخلاق، ص 353، 354 .

لأتباع المدرسة، وبعد قتال عنيف استمر قرابة شهرين عجزت القبائل التركية عن اقتحام أسوار بغداد وعادت من حيث أتت (1) .

ومن سلفنا الصالح من اشتهر بالجهاد وغلب عليه، فضلاً عن الرباط، أمثال عبد الله بن المبارك، وقد إستشهد إبراهيم بن أدهم وهو مرابط فى جزيرة من جزائر بحر الروم، وكان به ليلتها ألم فى بطنه جعله يذهب الى الخلاء بات نحواً من عشرين مرة فى كل مرة يجدد الوضوء، فلما كان عشية الموت، قال : أوتروا لى قوسى، فأوتروه، فقبض عليه فمات وهو قابض عليه يريد الرمى إلى العدو به، رحمه الله وأكرم مثواه (2) .

الإمام محمد أحمد المهدى قاد الجيوش ودحر المستعمرين فى السودان . الشيخ أحمد البدوى شيخ الطريقة الأحمدية قاد الجيوش فى مواجهة الاستعمار وعمره ثمانية عشر عاماً . الشيخ أبو الحسن الشاذلى اشترك مع الجيوش فى مواجهة الاستعمار وهو فى آخر عمره وقد كف بصره، واشترك معه فى معركة المنصورة العز بن عبد السلام والشيخ مجد الدين القشيرى والشيخ محى الدين ابن سراقة وإمام التصوف مجد الدين الأخميمى .

سيف الدين قُطُز (3) الذى هزم التتار وصدهم عن دخول مصر بعد أن كانوا قد استولوا على بغداد وقضوا على الخلافة العباسية ودمروا كل شئ فيها وأعملوا القتل فى نسائها وشبابها وشيوخها حتى وصل عدد من قتلوا منذ خروجهم حتى سقوط بغداد أكثر من مليونى مسلم فوقف هذا القائد بشجاعته وبسالته أمام استيلائهم على الجزيرة العربية فدمرهم وكسر شوكتهم (4) .

الشيخ عبد القادر الجزائرى الإمام المجاهد وهو من كبار الأولياء وله مؤلفات عديدة فى التصوف الإسلامى قاد المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسى فى بلاده . الشيخ المجاهد عثمان دانفوديو المصلح الذى نشر الإسلام فى غرب إفريقيا. الشيخ عجيب المانْجُلُكْ الذى أمره أستاذه بالجهاد فحمل السيف وأدخل الإسلام فى دارفور ثم كر راجعاً حتى دخل بلاد الحبشة . كذلك ثوار الصوفية الذين جاهدوا ضد الظلم والاستعمار فى ليبيا، الشيخ السنوسى والشيخ عمر المختار(5) . وثورة الشيخ سعيد الكردى النقشبندى

---

(1) المصدر السابق .
(2) المصدر السابق .
(3) سيف الدين قطز : أحد المماليك الذين حكموا مصر، كما أنه كان من أبرز تلاميذ الإمام العز بن عبد السلام ومن السالكين الطريق الصوفى على يديه وقد رباه على المعرفة والأدب وحب الجهاد ونصرة الإسلام فأثمر ذلك هزيمته للتتار . وقد وقف العز بن عبد السلام خطيباً على جيش قطز قبل مواجهة التتار . أنظر : البداية والنهاية، تأليف أبى الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى – وكتاب التصوف حكمه وأركانه وخصال أهله، تأليف عثمان السعيد الشرقاوى .
(4) التصوف حكمه وأركانه وخصال أهله، ص 248، 249 .
(5) الوهابية خطة سياسية ام دعوة دينية، ص 65، 66 .

فى تركيا . وثورة الشيخ شـامل فى تركستان . وحركة عالم كير فى الهند التى هى أثر عن جهود الشيخ فاروق المجددى (1) .

ولقد كان للصوفية الأثر البالغ فى نشر الإسلام فى معظم بقاع الأرض بسيف الإحسان ونشر المحبة والوئام بين خلق الله، وبحسب صدقهم وجهادهم لم يكن عندهم من كبير إمكانات ولا مال، ولكن كان لديهم سلاح المعرفة والدراية بنفوس الناس والتجربة والعمل، فساسوا الناس بالرفق ودرجوهم بالتيسير وزهدوا فى دنيا الناس، فكان نتاج ذلك أن دخل الإسلام فى أقطار كاملة من غير أن تراق نقطة دم واحدة . فدول جنوب شرق آسيا دخلها الإسلام على أيدى الصوفية كأندونيسيا وماليزيا والفلبين كذلك فى الهند والصين وشرق وغرب أفريقيا (2) .

---

(1) تربيتنا الروحية، ص 6 .
(2) الوهابية خطة سياسية أم دعوة دينية، ص 66 .

دورالصوفية فى مجال العلم والمعرفة

حاول بعض الناس فى عصرنا الراهن ما استطاع أن يقلل من اهتمام الصوفية بالنسبة للعلم، وربما وصفهم بقلة العلم والتقليل من شأنه وقد يجد سنداً لبعض الأوضاع التى لم تأخذ شكلها الصادق فى عصرنا الراهن .

إن بعض الأجواء التى تنسب للتصوف قد تعطى شيئاً من المنطق المزيف لأعداء التصوف، فيحاولوا التقليل من شأن الاهتمام العلمى عند الصوفية .

والواقع أن العلم فى الدائرة الصوفية هو العلم بمعناه الإسلامى، أى العلم بالطبيعة، والعلم بما وراء الطبيعة : إنه العلم بالأخلاق وبالفضيلة وهو العلم بالنواميس (1) الإلهية السارية فى الكون التى يكتشفها علم التشريح أو علم الطبيعة، أو علم الفلك أو غير ذلك .

وإذا كانت الحقيقة تسفر عن قناعها بالأمثلة، فإنا نبدأ بمن قال عنه القشيرى : (سيد هذه الطائفة وإمامها) . إنه الجنيد، لقد كان فقيهاً يفتى فى حلقة أستاذه وبحضرته وهو ابن عشرين سنة، وتأمل ما قاله القدماء عن درسه :

لقد كان الكتبة (2) يحضرون مجلسه لألفاظه .

وكان الفقهاء يحضرون مجلسه لتقريره .

والفلاسفة يحضرون مجلسه لدقة نظره ومعانيه .

أما المتكلمون فكانوا يحضرون مجلسه لتحقيقه .

وكان الصوفية من قبل هؤلاء ومن بعدهم يحضرون مجلسه لإشاراته وحقائقه .

ولقد حضر أبو الحسين على بن إبراهيم الحداد يوماً مجلس القاضى أبى العباس بن شريح فسمعه يتكلم فى الفروع والأصول (أى فى علم الفقه، وفى علم التوحيد) بكلام حسن .

يقول أبو الحسين فعجبت منه، فلما رأى إعجابى قال : أتدرى من أين هذا ؟ قلت : يقول به القاضى . فقال : هذا ببركة مجالسة أبى القاسم الجنيد .

أما علم الجنيد نفسه، فقد جاهد فى سبيل تحصيله السنين الطوال عن طريق الدرس والتحصيل، وكان هذا الطريق الجانب الكسبى من علمه .

أما الجانب الوهبى، فإنه سئل من أين استفدت هذا العلم ؟ فقال : من جلوسى بين يدى الله ثلاثين سنة (3) تحت تلك الدرجة . وأومأ إلى درجة فى داره .

---

(1) النواميس : الأسرار والقوانين الخفية . ناموس الرجل : صاحب سره وباطن أمره . أنظر : مختار الصحاح، ص 680 .

(2) الكتبة : الأدباء .

(3) (ثلاثين سنة) ذكر هذه الرواية الإمام القشيرى فى رسالته أما رواية أربعين سنة فقد أوردها الحافظ ابن كثير فى (البداية والنهاية) كما سبق ذكرها .

وقد حفظ الجنيد القرءان، وفهمه، ودرسه، وتدبره، وقيد الحديث واستوعبه قدر الاستطاعة لفظاً ومعنى، رواية ودراية....وذلك أنه يرى - كما يرى غيره من الصوفية - أن ذلك هو الأساس، ولابد من إحكام الأساس . وإحكام هذا الأساس يجعل مَنْ أحكمه فقيهاً، ويجعله محدثاً، ويجعله مفسراً، ويجعله من علماء التوحيد .ولقد أحكم الجنيد هذا الأساس قدر الاستطاعة : أحكمه تعبداً وأحكمه استنارة، وأحكمه لأنه صوفى، وقال فيما رواه القشيرى : (من لم يحفظ القرءان، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الشأن لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة) . ولقد كرر الجنيد رضى الله عنه هذا المعنى حتى يثبت فى أذهان الصوفية، كما ذكرناه آنفاً فى أكثر من موضع .

ويكفى أن يتصفح الإنسان رسائل الجنيد رضى الله عنه ليشعر أنه إمام عالم من أئمة علماء المسلمين . والجنيد رضى الله عنه مثال للصوفى على ما ينبغى أن يكون، ولم يكن الجنيد بدعاً فى عالم الصوفية، فأستاذه الحارث ابن أسد المحاسبى لم يكن فى زمانه نظير له فى علمه ... ومؤلفاته كثيرة متنوعة، وكلها فى مستوى سام، حتى لقد كانت من المصادر الرئيسية التى أفادت الإمام الغزالى وأثرت فيه . وكتاب الرعاية للمحاسبى، كتاب أديب، عالم حجة، وكتابه : فهم القرءان - بحسب ما وصلنا منه من نصوص - كتاب الباحث الدقيق، الذى يتخذ القرءان والسنة أساسه، وينطلق منهما إلى إضاءة جو العقائد راداً على المبتدعة والمنحرفين.

ولقد حاول ذو النون المصرى - من قبل الجنيد - أن يكتشف من مُعْمَيات الكون ما خفى على الكثيرين : لقد كانت له جولات فى عالم الكيمياء وأسرار الطبيعة، ولقد حاول أن يكتشف أسرار علم قدماء المصريين وأن يقرأ كتابتهم، ليتفهم لغتهم، لقد كان يحبُّ اكْتِنَاه (1) الغامض، ويحاول أن يزيل القناع عن المحجوب، فضلاًعن شعاره الدائم، وهو القرءان الكريم، وسنة رسول رب العالمين.

وهل أتاك نبأ الإمام القشيرى، وأنه فسر القرءان، كما يفسره هذا وذاك من علماء اللغة، وعلماء أسباب النزول، وعلماء النحو والبلاغة و...ولم يكن أقل من أى منهم فى علمهم وفنهم ... وإنه لم يكتفى بذلك وإنما ألف فى تفسير القرءان : (لطائف الإشارات) فكان إلهاماً من الإلهامات، وكان نوراً من الأنوار، ولم يذكر فيه كل الإشارات وإنما ذكر لطائفها .

والصوفية فى الجانب العلمى لم يكتفوا بالجانب الكسبى : أى جانب التعليم من الكتب، وعلى أساتذة الكتب، ولكنهم قرأوا فى كتاب الله تعالى : (وعلمناه من لدنا علماً) (2) . فتعلقت آمالهم بهذا العلم الآتى مباشرة من الله، وتطلعت أمانيهم إلى هذا العلم الذى هو من عند الله، واتخذوا الطريق إليه .

---

(1) إكتناه : البحث عن كنه أو مغذى أو سر أو نهاية الشئ (كنه الشئ : نهايته) أنظر : مختار الصحاح، ص 580 .

(2) سورة الكهف، الآية رقم : 65 .

والطريق إليه رسمه الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الكريم، قال تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) (1) وقال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (2) وهو العمل بما علموا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من عمل بما يعلم، وَرَّثَهُ الله علم ما لم يعلم) (3) . وهو تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، ومن حقق العبودية لله كان الله سمعه وبصره (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصربه...الخ) (4) .

وشعار الصوفية على وجه العموم فيما يتعلق بالعلم، وهو شعار أستاذهم وقدوتهم وحبيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان شعاره : (وقل رب زدنى علماً) (5) (6) .

- والمتأمل يجد أن معظم الكتب الدينية المستفاد منها الآن هى لصوفية علماء فنجد منهم فى التفسير : الفخر الرازى والنسفى والبيضاوى وجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى والصاوى والألوسى وغيرهم .
- فى الحديث : الثورى والبخارى ومسلم والحاكم والسلمى وأبو نعيم الأصفهانى والبيهقى والمقدسى والمنذرى والنووى وابن رجب الحنبلى وزين الدين العراقى وابن حجر العسقلانى والسيوطى وغيرهم .
- فى الفقه : الغزالى والقاضى عياض والعز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وخليل بن إسحق بن موسى والسبكى وزكريا الأنصارى والدردير ى والصاوى وغيرهم .

أما فى مجال التربية والإرشاد فقد كانوا نماذج عظيمة فى التربية والإرشاد، وكان كل واحد منهم أمة كالشيخ عبد القادر الجيلانى الذى كان يحضر مجلس علمه الناس حتى تضيق بهم شوارع بغداد، والرفاعى والبدوى والدسوقى وأبو الحسن الشاذلى وابن إدريس، تخرج عليهم جمع غفير من الناس والعلماء الراسخين والفقهاء الأثبات والمرشدين النابغين (7) . وعندنا بالسودان مدارس صوفية وعلمية كأولاد جابر والصغيروناب والبرياب والأعراك والطيبية واليعقوباب والبادراب وكثير غيرهم .

وقد اهتم الصوفية بعد نشر الإسلام بتعليم العلم والقرءان حتى لا تكاد تجد فى السودان مَنْ نشر القرءان غير الصوفية، فلهم القدح المعلى فى ذلك، بل قد كانت هناك

---

(1) سورة البقرة، الآية رقم : 282 .
(2) سورة العنكبوت، الآية رقم : 69 .
(3) حلية الأولياء، ج 10، ص15 .
(4) الحديث بتمامه أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الرقائق،باب التواضع، عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(5) سورة طه، الآية رقم : 114 .
(6) أنظر : أقطاب التصوف، ص 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18 . بتصرف .
(7) الوهابية خطة سياسية أم دعوة دينية، ص66، 67 . بتصرف .

قمم لاتقل عمن أسلفنا ذكرهم كالشيخ دفع الله بن أبى إدريس المشهور (بِالْمَصُوبَنْ) تخرج على يديه آلاف من العلماء والمرشدين الذين بلغوا درجة القطبية فى العلم والصلاح . وموسى بن الشيخ يعقوب الذى تخرج على يديه ما يزيد على الأربعة ألف فقيه ومرشد . والسيد محمد عثمان الميرغنى الختم قام برحلته الشهيرة خلال أرتريا وخلف فى السودان والحبشه ما يزيد على الثلاثة ألف خليفة . والشيخ أحمد الطيب بن البشير الذى مر بمصر فخلف وراءه عدداً لا يحصى من المرشدين المنيرين هذا غير من خلفهم فى السودان كأمثال الشيخ محمد توم (ود بانقا) الذى كان يصلى العيد خلفه ما يزيد على السبعين ألفاً . ولا ننسى فى هذا المقام الشيخ عبد المحمود بن نور الدائم، والشيخ قريب الله، والشيخ أحمد الجعلى، والشيخ المكاشفى، والشيخ إبراهيم الكباشى، والشيخ محمد عثمان عبده البرهانى، والوالد المربى الشيخ دفع الله الصائم ديمه الذى أرشد خلقاً لا يحصون، وأنشأ نحواً من الأربعمائة مسجدٍ فى مختلف بقاع السودان، ودخل على يديه الإسلام أكثر من أربعة آلاف شخص فى جبال الإنقسنا بالنيل الأزرق.... وكثير غير هؤلاء مما لا يسع المجال لحصرهم، وليس هذا من باب الفخر إنما هى حقائق ينبغى أن يعرفها كل من جهلها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لسيدنا على رضى الله عنه (... ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم) (1) . فماذا نقول فى هؤلاء الرجال الذين دخل على أيديهم الإسلام آلاف الآلاف من الخلق؟!!

أما فى إصلاح المجتمعات فقد كان وما زال للسادة الصوفية أثر طيب من خلال إصلاح الأفراد وتحليتهم بمكارم الأخلاق ونشر مبادئ الإخاء والتكافل، ورعايتهم اليتامى والمساكين عن طريق البذل والإنفاق، وكسوة العارى وإطعام الطعام ونفعهم الناس بالطب الروحانى، والإصلاح بين القبائل وإزالة الخصومات فما من والٍ ولا راعٍ إلا استعان بهم فى شأن إصلاح رعاياه بالخير والبر والإحسان والنصيحة (2) .

---

(1) الحديث بتمامه أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب المغازى .
(2) الوهابية خطة سياسية أم دعوة دينية، ص 67، 68 . بتصرف .

منهج الصوفية فى الدعوة إلى الله تعالى

أخذت مدرسة الصوفية خلاصة الآداب والتعاليم الحنيفة القيمة التى أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاصة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأخذ المريد ببساط الأنس والمحبة لا بالغلظة والتعنيف (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) (1) . فقولـه تعالى : (فاعف عنهم واستغفر لهم) ينبئك ببعض المخالفات وصدور بعض الهفوات فالأمر للنبى صلى الله عليه وسلم ذى الرأفة والرحمة أن يعفو ويتقاضى عن ذلك ويدعو لهم بالهداية والعفو والتوبة . ومثالاً لما أخذته مدرسة الصوفية من التعاليم النبوية تعاملهم مع شارب الخمر، ففى شرب الخمر هناك من لا يراعى مخافة الله عز وجل ولا الشريعة الغراء بالرغم من أنه إذا شرب الخمر يجلد أربعين جلدة كما هو معلوم فى حدود الشريعة لكنها لا تجدى شيئاً بالنسبة له لأنه غلب عليه حاله وطغت عليه نفسه فكلما جلد كلما عاد إليها بل ولا يخشى من التشهير به .

وهناك من يخشى الشريعة فلا يشرب الخمر فى الظاهر وإنما يشربها فى بيته بعد إغلاق بابه فلا يراه أحدٌ من قضاة الشريعة، فالأول والثانى تجد علاجهما عند السادة الصوفية وهو أخذهما باللين والحكمة والدعاء لهما بالهداية والصبر على بلواهم حتى يأخذ الله بأيديهما إلى طريق النجاة .

والصوفية فى ذلك إنما يقتدون بالرسول صلى الله عليه وسلم عندما جئ إليه برجل يصيب الشراب فأقام عليه الحد وعندما لعنه أحد الصحابة غضب النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم : (لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله) (2) فقد وصفه بالمحبة التى هى لب الإيمان وجوهره مع شربه للخمر . وقد راعى الصوفية أن إقامة الحدود إنما تكون لقضاة الشريعة .

ومما يميز الصوفية من غيرهم أنهم إذا أتاهم العاصى لا يقولون له لست منا، وإنما يهذبوه ويرقوه إلى مدارج السالكين ويرشدوه إلى ملازمة الطاعات ابتداءً بالفرائض حتى يعتاد عليها، ثم بعد ذلك يدلونه إلى عمل البر من النوافل والأذكار والأدعية المأثورة كالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والاستغفار والتهليل وغيرها من الطاعات، فحينما يستغفر الله تمحى ذنوبه التى كان قد أتى بها من قبل، وحينما يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم يتجلى قلبه من الأدران والوساوس ويكون قد جمع بين ذكر الله عز وجل والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إمتثالاً لقوله تعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) (3)، وحينما يقول لا

---

(1) سورة آل عمران، الآية رقم : 159 .
(2) أنظر : فتح البارئ شرح صحيح البخارى، للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى، ج 12، ص 76، 77 .
(3) سورة الأحزاب، الآية رقم : 56 .

إله إلا الله يتنور قلبه ويبكى على نفسه وكأن لسان حاله يقول : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، حتى يرى ما كان يفعل فى الماضى شيئاً لا يليق به وهو منسوب لهؤلاء القوم الذين لا يشقى لهم قط جليس، فيترك عن قناعة واقتناع ما كان يفعل من شرب الخمر والمعاصى، لا عن خوف وقهر وزجر، وبعد أن يتلقى هذه الآداب يتدرج ويترقى إلى مقامات العارفين .

وإذا أردت أن تعرف كيف درج الصوفية هذا العاصى فهذا واضح فقد أخذوه من كلام الله عز وجل، فإنه لما أراد تحريم الخمر لم يحرمها من أول مرة، لأنها كانت بالنسبة للعرب عادة مستحكمة فيهم كشرب الشاى والقهوة فى زماننا هذا - مع ملاحظة فارق الحكم الشرعى بين العادتين - وإنما تدرج تحريم الخمر حيث قال الله عز وجل : (ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً) (1) فاللبيب يفهم أن سكراً خلاف الرزق الحسن وخلاف الحسن هو القبيح، ثم بعد ذلك أنزل الله عز وجل قوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) (2) فالعاقل إذا رأى شيئاً ضرره أكثر من نفعه تركه، فهذه إشارة من المولى عز وجل على أن يتركوا ما يضرهم ويجلب إليهم الإثم أكثر من النفع، ثم بعد ذلك أنزل الله عز وجل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) (3) إنما حرمها وقت الصلاة تدريجاً لمن كان يشربها وحينما يتعود على تركها وقت الصلاة يمكن له تركها قطعاً من غير رجعة، ثم بعد ذلك أنزل الله عز وجل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر) إلى قوله : (فاجتنبوه) (4) فحرمت عليهم .

هذا على سبيل المثال لا الحصر فى تربية الصوفية، وقاعدتهم فى ذلك قوله تعالى : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (5) وهم إذ يقدمون الترغيب على الترهيب والبشارة على النذارة إنما شاهدهم فى ذلك قوله تعالى : (ياأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) (6) ولنتأمل قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله كتب الإحسان على كل شئ) (7) قال فى هذا الحديث العلامة الجردانى : (..... وأما الإحسان إلى سائر الناس فهو أن لا يغشهم بل ينصح لهم ويحسن صحبتهم ويتحمل أذاهم، ويكرم مثواهم ويعلمهم ماينفعهم فى معاشهم ومعادهم، ويرشدهم إلى سبيل الخيرات واجتناب المنكرات، ويسأل الله لهم الهداية والتوفيق ويتصدق عن موتاهم ويدعو لهم بالمغفرة

---

(1) سورة النحل، الآية رقم : 67 .
(2) سورة البقرة، الآية رقم : 219 .
(3) سورة النساء، الآية رقم : 43 .
(4) سورة المائدة، الآية رقم : 90 .
(5) سورة النحل، الآية رقم : 125 .
(6) سورة الأحزاب، الآية رقم : 45 .
(7) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الصيد والذبائح، عن شداد بن أوس رضى الله عنه .

والرحمة) (1) . قد كان هذا مسلك السادة الصوفية لكل عاصٍ سواءٌ بشرب الخمر أو غيرها من المحرمات.

وهذه الصورة التى شهدناها من حكمة وموعظة وعبرة ليست بغريبة على منهج الصوفية الذى قوامه الكتاب والسنة . قال تعالى : (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) (2) .

فإنهم لما أطلعهم الله على معارف أسراره وسعة رحمته توصلوا إلى حقيقة أن الله خبير بصير بذنوب عباده، وأنه أحن وأرأف وأشفق عليهم من الأم على طفلها .

وقد تخلقوا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ضرب لنا المثل الأعلى فى الرأفة والشفقة على الخلق، ودعوتهم إلى الله بالرفق واللطف والحكمة والموعظة الحسنة، وإليك بعضاً من الأحاديث التى تبين ذلك :

عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن أعرابياً دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فصلى ، قال ابن عبدة : ركعتين، ثم قال : اللهم ارحمنى ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: (لقد تحجرت واسعاً) ثم لم يلبث أن بال فى ناحية المسجد فأسرع الناس إليه، فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال : (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين صبوا عليه سجلاً (3) من ماء) أو قال : (ذَنُوباً (4) من ماء) (5) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : دخل أعرابى المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فقال اللهم اغفر لى ولمحمد ولا تغفر لأحد معنا، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (لقد احتظرت (6) واسعاً) ثم ولَّى حتى إذا كان فى ناحية المسجد فَشَجَّ (7) يبول، فقال الأعرابى - بعد أن فقه فقام - إلى بأبى وأمى - فلم يؤنِّب ولم يسُب فقال : (إن هذا المسجد لا يبال فيه وإنما بنى لذكر الله وللصلاة) ثم أمر بسجل من ماء فأُفرغ على بوله (8) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : أن فتى شاباً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إئذن لى بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه مه (9)، (فقال أدنه) فدنا منه قريباً قال : فجلس قال : (أتحبه لأمك) قال لا والله جعلنى الله فداءك، قال : (ولا

---

(1) شرح الجردانى على الأربعين حديثاً النووية، الحديث رقم : 17، ص99 .
(2) سورة الإسراء، الآية رقم : 17 .
(3) السِّجِل : الدلو الكبير الممتلئ ماء .
(4) الذَّنوب : الدّلو العظيم . أنظر : المعجم الوسيط، ج 1، ص 328 .
(5) أخرجه أبو داوود فى سننه، كتاب الطهارة .
(6) احتظرت : منعت .
(7) فشج : فرّج ما بين الرجْلين .
(8) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة .
(9) مه : إسم فعل أمر بمعنى أكفف .

الناس يحبونه لأمهاتهم) قال : (أفتحبه لابنتك) قال لا والله يارسول الله جعلنى الله فداءك، قال : (ولا الناس يحبونه لبناتهم) قال : (أفتحبه لأختك) قال لا والله جعلنى الله فداءك، قال : (ولا الناس يحبونه لأخواتهم) قال : (أفتحبه لعمتك) قال لا والله جعلنى الله فداءك، قال : (ولا الناس يحبونه لعماتهم) قال : (أفتحبه لخالتك) قال لا والله جعلنى الله فداءك، قال : (ولا الناس يحبونه لخالاتهم) قال : فوضع يده عليه قال : (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شئ (1) . والمتدبر فى قوله صلى الله عليه وسلم (أدنه) يجد فيه الرفق واللين والحكمة فى الدعوة إلى الله والنصح والإرشاد فبدأ بتقريبه منه صلى الله عليه وسلم وأعطاه كل اهتمام وشفقه ولم يأمره بالكف عنه ابتداءً بل أخذه بالمنطق والموعظة الحسنه وختم له الإرشاد بالدعاء النافع والالتجاء إلى من بيده قلوب عباده يصرفها حيث شاء (وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين) (2) فهكذا أخذ سادتنا الصوفية هذه التربية وهذه الطريقة النبوية المحمدية فى تربية المنحرفين عن الدين والأخلاق .

وروى أن أعرابياً جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال : (أأحسنت إليك ؟) قال الأعرابى لا ولا أجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه صلى الله عليه وسلم وزاده شيئاً ثم قال : (أأحسنت إليك ؟) قال نعم جزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : (إنك قلت ما قلت وفى نفس أصحابى شئ فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما فى صدورهم عليك)، قال نعم، فلما كان الغد أو العشى جاء فقال صلى الله عليه وسلم : (إن هذا الأعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى، أكذلك ؟) قال نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (مثلى ومثل هذا مثل رجل لـه ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً فناداهم صاحبها : خلوا بينى وبين ناقتى فإنى أرفق بها منكم وأعلم . فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشدّ عليها رحلها واستوى عليها، وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار)(3).

وخلاصة ما تقدم فى هذا الباب نقول : قد كانت هذه نظرة الصوفية فى تربية الأجيال أن يحببوا قلوب الخلق فى الله عز وجل من خلال مكارم الأخلاق والتلطف إليهم بالرفق ولين الحديث ونظرة الشفقة والرأفة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه) (4) ومن ثَمَّ تتحول هذه

---

(1) أخرجه أحمد فى مسنده، ج 5، ص 303 .
(2) سورة التكوير، الآية رقم : 29 .
(3) الشفا بتعريف حقوف المصطفى صلى الله عليه وسلم، تأليف القاضى عياض بن موسى اليَحْصُبِى الأندلسى، ج1، ص82 .
(4) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب البر والصلة، باب الرفق، عن عائشة رضى الله عنها .

الأجيال بيسر من أرقى إلى أرقى . هذه هى دعوة أهل التصوف إلى جميع عباد الله، البر والفاجر المحسن والمسئ، وهذا هو نهجهم فى الدعوة إلى الله تعالى . أن يعطوا كل إنسان من الإرشاد بقدر استيعابه ليمهدوا له الطريق إلى وصول حضرة المولى جلت قدرته، ويأخذوا بيده من عثرات الدنيا إلى الصفاء الروحى وإلى مراتب الإحسان التى لا يدركها إلا الصفوة من الناس .

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادى إلى صراطك المستقيم، وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم .
تم بعون الله وتوفيقه

فى يوم الاثنين 17 ربيع ثانى 1426هـ الموافق 15 مايو 2006م

المفتقر إلى الله تعالى
أحمد بن الشيخ/ دفع الله الصائم ديمه

ملحق الأعلام

1/ الحسن البصرى : هو أبو سعيد الحسن بن يسار أبى الحسن البصرى، ولد لسنتين بقيتا فى خلافة سيدنا عمر، ورأى سيدنا عثمان وعلياً وطلحة، وذكر الحافظ الذهبى قول الحسن (أنا يوم الدار ابن أربع عشرة سنة، جمعت القرآن أنظر إلى طلحة ابن عبيد الله) . وقد روى عن خلق كثير من الصحابة بما فيهم سيدنا عثمان وعمران ابن حصين ومعقل بن يسار وأبى بكرة وأبى موسى وابن عباس وابن عمر والمغيرة ابن شعبة وجابر، كما روى بعض الأحاديث عن سيدنا على بن أبى طالب أثبتها الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه (الحاوى للفتاوى)، كان الحسن البصرى أهلاً لحمل هذا العلم، فقد روى الحافظ الذهبى عن محمد بن سلام عن أبى عمرو بن الشعاب بسنده أنه قال : (كانت أم سلمة تبعث أم الحسن فى الحاجة فيبكى وهو طفل فتسكته أم سلمة بثديها) وكان بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يؤثر الإمام الحسن بالفتيا، ويشيد بحفظه للعلم، فقد روى الحافظ الذهبى عن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (سلوا الحسن، فإنه حفظ ونسينا) ، وقد وصفه محمد بن سعد فى طبقاته قائلاً : (كان الحسن - رحمه الله - عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقةً، حجةً، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً)، ولهذا القدر العالى من صفات العلماء فقد كان سيدنا عمر بن عبد العزيز - وهو أميرٌ للمؤمنين - يكتب إلى الحسن كلما أشكل عليه أمر فيجيبه الحسن بفكر ثاقب وموعظة رائعة وعلم غزير وبصيرة نافذة إلى بواطن الأمور، و تمر بالحسن البصرى كثير من أسانيد الطريق الصوفى، توفى سنة 110هـ .

2/ إبراهيم بن أدهم : هو الإمام الصوفى الكبير أبو اسحق إبراهيم بن أدهم ابن منصور، من بلخ بخراسان، كان من أبناء الملوك الموسرين، ولكن إبراهيم رفض الدنيا واخذ فى طريق الآخرة، عاصر على بن بكار، يحى بن الكدير بن أسود العسقلانى، أبا سليمان الدارانى، يونس بن سليمان البلخى، إبراهيم بن بشار وغيرهم، صحب نخبة من أكابر أهل العلم والولاية كالإمام سفيان الثورى والفضيل ابن عياض وأسلم بن يزيد الجهنى، كتب إليه الأوزاعى - مع جلالة قدره فى العلم - طالباً صحبة إبراهيم ، كان كثير السياحة لتتم له الخلوة بربه، كان بسبب تقليله للطعام يصلى خمس عشرة صلاة بوضوء واحدٍ، ويكفى من جلالة قدره أنّ الإمام أبا حنيفة قال عنه حين لقيه : (هو سيدنا)، توفى سنة 102هـ . ودفن بصور (فى ساحل لبنان) وقبره بها مشهور .

3/ الإمام أبو حنيفة : هو النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه، ويروى أنه عربى الأصل من بنى يحى بن زيد بن أسد، وقيل فارسى ينتمى إلى جده المرزبان، هو أحد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة المشهورين، قيل هو أحد المقصودين بالحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم (لو كان العلم معلقاً عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس)، ولد سنة 80هـ . قرأ الفقه والنحو وعلم الكلام، أدرك من الصحابة أنس ابن مالك، عبد الله بن أبى أوفى، سهل بن سعد وأبا الطفيل، ولم يأخذ عنهم لصغر سنه آنذاك، ومن شيوخه

حماد بن أبى سليمان فقيه الكوفة، ومنهم زيد بن على زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وعبد الله بن الحسن بن الحسن، وجابر ابن يزيد الجعفى، كان يشتغل فى بدايته بالتجارة، ثم اشتغل بالعلم فبرع فيه، رفض منصب القضاء تنزهاً واستبراءً لدينه فى أيام مروان، تتلمذ عليه الكثيرون أشهرهم أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصارى، ومحمد بن الحسن الشيبانى، وزفر ابن الهذيل، والحسن بن زياد اللؤلؤى الكوفى، وعبد الله بن المبارك، قال عنه سفيان ابن عيينة : شيئان ما ظننت أنهما يجاوزان قنطرة الكوفة وقد بلغا الآفاق : قراءة حمزة ورأى أبى حنيفة، وكان أبو يوسف يقول : (ما رأيت أعلم بتفسير الحديث من أبى حنيفة وكان أبصر بالحديث الصحيح منى)، ويروى صاحب الطبقات السنية – تقى الدين الغزى – عن الإمام الشافعى أنه كان يقول : (إنى لأتبرك بأبى حنيفة رضى الله عنه وأجئ إلى قبره فى كل يوم وكنت إذا عرضت لى حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة فما تبعد عنى حتى تقضى)، توفى سنة 150هـ .

4/ سفيان الثورى : هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى، كانوا يسمونه أمير المؤمنين فى الحديث، ولد بالكوفة سنة 97هـ . كان عالماً عابداً زاهداً، أدرك جماعة من كبار التابعين وروى عن الأعمش ومنصور ومحمد بن المنكدر وعبد الله بن دينار وله مسانيد كثيرة، عاصر عبد الرحمن بن مهدى والفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة، وكان لا يعلِّم أحداً العلم إلاّ إذا تعلم الأدب والتزمه، وكان يقول : إذا فسد العلماء فمن بقى فى الدنيا يصلحهم ؟ وكان إذا جلس للعلم، وأعجبه منطقه، يقطع الكلام خوفاً من الغرور، ويقوم ويقول : أُخذنا ونحن لا نشعر، كان مع سعة علمه فى غاية الورع والتواضع ، فكان يقول للناس - إذا طلبوا الحديث - والله ما أرى نفسى أهلاً لإملاء الحديث، ولا أهلاً لأن تسمعوه، وما مثلى ومثلكم إلاّ كما قال القائل (افتضحوا فاصطلحوا)، وكان قد امتنع من الجلوس للعلم فقيل له فى ذلك، فقال : والله لو علمت أنهم يريدون بالعلم وجه الله لأتَيتُهُم فى بيوتهم وعلَّمْتُهُم، ولكن يريدون به المباهاة وقولهم حدثنا سفيان، توفى بالبصرة، سنة 161هـ .

5/ عبد الواحد بن زيد : صحب الحسن البصرى وأخذ عنه إذ كان من خاصة الملازمين له، كان الحسن البصرى يناديه بلقب (الصوفى) لما كان عليه عبد الواحد من تقشف وزهد وقناعة، كما صحب عتبة الغلام، كان يحضر مواعظ مالك بن دينار، عاصر الحارث بن عبيد وزيد بن عمر وحبان الأسود ومالك بن ضيغم بن مالك، هو أول من بنى دويرية الصوفية فى البصرة بالعراق، كان يحضر مجالس وعظه جمع غفير، منهم من يبكى ومنهم من يصعق بتأثير موعظته، يقال أنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، توفى سنة 177 هـ .

6/ الإمام مالك : هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى، ولد سنة 93هـ . إمام وسيد من سادات أهل العلم، وأحد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة المشهورين، أخذ العلم عن تسعمائة شيخ منهم ثلاثمائة من التابعين، وما أفتى إلاّ بعد ما شهد له سبعون

شيخاً منهم ربيعة ويحى بن سعيد بأنه أهل لذلك، ومن شيوخه نذكر : عبد الرحمن بن هرمز، نافع مولى عبد الله بن عمر، الإمام جعفر بن الإمام محمد الباقر، محمد بن مسلم الزهرى، محمد بن المنكدر، عبد الله بن دينار، يحى ابن سعيد الأنصارى وغيرهم . علمه غزير ومسانيده أشهر من أن تذكر على رأسها الموطأ، أخذ عنه الكثيرون على رأسهم الإمام الشافعى، توفى سنة 179هـ وقبره بالبقيع .

7/ عبد الله بن المبارك : الإمام الصوفى الكبير أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلى، أبوه تركى وأمه خوارزمية، ولد سنة 118هـ . جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والشعر والفصاحة مع قيام الليل، تفقه على سفيان الثورى ومالك ابن أنس وروى عنه الموطأ، كتب الحديث عن مائة وألف شيخ، وروى عنه الحافظ أبو نعيم نيفاً وستين حديثاً من مروياته، حدث عنه ابن معين وابن حنبل وابن منيع، أدرك جماعة من التابعين منهم هشام بن عروة، إسماعيل بن أبى خالد، الأعمش، سليمان التميمى، يحى بن سعد الأنصارى، وموسى بن عقبة وغيرهم، عاصر الحسن البصرى، الفضيل بن عياض وعبد الرحمن بن مهدى، كان يحج عاماً ويغزو عاماً وينفق على الفقراء سنوياً مائة ألف درهم، جمعت فضائله فوجدوها خمساً وعشرين فضيلة، وأجمع رجال السلف على جلالته وإمامته فى علوم الإسلام حتى لقد ذكر الإمام المناوى أن سفيان الثورى سمع رجلاً يقول : أين ابن المبارك عالم المشرق ؟ فقال : عالم المشرق والمغرب وما بينهما، توفى بهيت منصرفاً من الغزو، سنة 181هـ .

8/ الفضيل بن عياض : الإمام الصوفى الجليل القدوة أبو على الفضيل ابن مسعود التميمى اليربوعى، شيخ الحرم، ولد فى سمرقند سنة 105هـ . أدرك أنس ابن مالك، أسند عن كبار التابعين كسليمان الأعمش ومنصور بن المعتمر وعبد الله ابن أبى أوفى وعطاء بن السائب وحصين بن عبد الرحمن ومسلم الأعور وأبان بن أبى عياش، كان ثقة فى الحديث فأخذ عنه الإمام الشافعى، سفيان الثورى، سفيان ابن عيينة، يحى بن سعيد القطان، عبد الرحمن بن مهدى، ويحى النيسابورى ونظراؤهم، كما أنه كان من مشائخ الإمام البخارى وغيره، شهد له كثير من الأعلام والأئمة بمكانته فى العلم والحديث، فها هو الإمام المناوى يقول فى طبقاته : (كان من أعاظم الأئمة المحدثين، خرَّج له الجماعة إلاّ ابن ماجه، وعنه أخذ الشافعى وابن المبارك رضى الله عنهما، وأسند الستة إليه، وخلق ...) توفى بمكة، سنة 187هـ .

9/ سفيان بن عيينة : أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران، ولد بالكوفة سنة 107هـ . أدرك 86 نفساً من أعلام التابعين، وأسند عن جمهورهم كعروة بن دينار، والزهرى، وابن المنكدر، وأبى حازم، الأعمش وأيوب وغيرهم، وحدث عنه من كبار الأئمة الثورى وشعبة والأوزاعى والأعمش، بدأ يحج وعمره 28 سنة ما تخلَّف عاماً، أى حج سبعين حجة أخرها كان عام 197هـ، توفى سنة 198هـ وقبره بالحجون .

10/ معروف الكرخى : هو الإمام الصوفى العارف بالله الزاهد القدوة أبو محفوظ معروف بن فيروز أو الفيرزان الكرخى، نسبة إلى الكرخ (من أحياء بغداد) صحب

داؤد الطائى، كما أخذ عن فرقد السبخى المتوفى سنة 131 هـ، وفرقد أخذ عن الحسن البصرى، كان ذا رواية فى الحديث وله مسانيد ذكرها الحافظ أبو نعيم، وأسند الحديث عن بكر بن خنيس، عبد الله بن موسى وابن السماك، تتلمذ عليه السرى السقطى، لم يكن فى العراق فى وقته من يربى المريدين مثله، فجميع المشائخ يعرفون فضله فى ذلك، قال الغزالى : (كان أحمد بن حنبل وابن معين يختلفان إليه ويسألانه، ولم يكن فى علم الظاهر مثلهما) وقد كان مجاب الدعوة، توفى سنة 200هـ .

11/ الإمام الشافعى : أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصى ، أحد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة المشهورين، ولد فى غزة (فلسطين) سنة 150 هـ . طلب اللغة والشعر من البادية (قبيلة هزيل)، ثم رحل إلى مكة وفيها أخذ عن مسلم بن خالد الزنجى، سفيان بن عيينة وداود بن عبد الرحمن العطار، وفى المدينة أخذ عن الإمام مالك وإبراهيم بن سعد الأنصارى وآخرين، وفى اليمن أخذ عن مطرف بن مازن الصنعانى، عمرو بن أبى مسلمة صاحب الأوزاعى ويحى بن حسان صاحب الليث بن سعد وهشام بن يوسف قاضى صنعاء، ومن شيوخه فى العراق وكيع بن الجراح الكوفى، إسماعيل بن عطية البصرى وعبد الوهاب بن عبد المجيد البصرى، كما أخذ الحديث عن الفضيل بن عياض، صنف حوالى مائة وثلاثة عشر كتاباً فى الفقه والأدب والشعر والأصول، أشهرها كتاب الرسالة الذى أسس به علم أصول الفقه، وكتاب الأم الذى دون فيه مذهبه الفقهى، أخذ عنه كثيرون منهم أبوتراب النخشبى الصوفى، توفى سنة 204 هـ . وقبره بمصر (القاهرة) ظاهر يزار، وفى سنة 1322هـ بنت الأوقاف المصرية مسجد الإمام الشافعى عند ضريحه، أما القبة التى على ضريحه فقد بناها السلطان صلاح الدين الأيوبى .

12/ أبو سليمان الدارانى : هوالإمام الصوفى الكبير أبو سليمان عبد الرحمن ابن أحمد بن عطية العنسى الدارانى، من قرية داران أو داريا (ضواحى دمشق - سوريا)، لقى صفوة من أعيان التابعين وأخذ عن الإمام سفيان الثورى وغيره وسمع الحديث الكثير ولكنه اشتغل بالعبادة عن الرواية، فأسندت له ثلاثة أحاديث فقط، منها الحديث المروى عن أبى هريرة (من تواضع لله رفعه)، عاصر مسعود بن أبى جميل وموسى بن عمران وأبا عمران موسى بن عيسى الجصاص وغيرهم، أخذ عنه ثلة من رجال التصوف، ومن أبرزهم أحمد بن الحوارى الذى قال فيه الإمام الجنيد : (أحمد ابن الحوارى ريحانة الشام)، توفى سنة 215هـ .

13/ بشر الحافى : هو الإمام الصوفى الزاهد العابد القدوة أبو نصر بشر ابن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله الملقب بالحافى، أصله من مرو، ولد سنة 150هـ . رحل فى طلب العلم إلى مكة والبصرة والكوفة، كان من رواة الحديث ، وشهد له الإمام الدارقطنى قائلاً : (وهو ثقة لا يروى إلاّ حديثاً صحيحاً)، سمع من وكيع وعيسى بن يونس وشريك بن عبد الله وأبى بكر بن عياش وحماد بن زيد وعبد الرحمن

بن أسلم وابن المبارك، كما التقى بالإمام مالك بن أنس وحج معه وسمع منه، إلاّ أنه لم يتصدر للرواية فلم يضبط عنه الحديث إلاّ اليسير، فمن الذين رووا عنه محمد بن المثنى والسرى السقطى ونعيم بن الهضيم، كما أنه صحب الفضيل بن عياض، استشفع المأمون بالإمام أحمد بن حنبل فى أن يأذن الحافى للمأمون فى زيارته فأبى الحافى، توفى سنة 227هـ .

14/ أبو الحسين أحمد بن الحوارى : هو أبو الحسين أحمد بن أبى الحوارى، من كبار مشائخ الصوفية، واسم أبى الحوارى ميمون، من أهل دمشق، صحب أبا سليمان الدارانى وسفيان بن عيينة، إلتقى بالإمام أحمد بن حنبل وروى عنه، توفى سنة 230هـ وقيل 246هـ .

15/ الإمام ابن حنبل : هو ابو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، أحد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة المشهورين، ولد فى سنة 164هـ . ببغداد، بدأ تلقى العلم من أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضى صاحب أبى حنيفة، كما أخذ عن هشيم بن بشير ابن أبى حازم الواسطى، عبد الرحمن بن مهدى، أبى بكر بن عياش والإمام الشافعى ، كما أخذ عن أبى تراب النخشبى الصوفى الذى أخذ عن الإمام الشافعى . روى عنه كثيرون منهم أبو داود، الإمام البخارى، الإمام مسلم، أبوزرعة، عبد الرحمن ابن مهدى، كما روى عنه أحمد بن أبى الحوارى، التقى بصوفية زمانه أمثال بشر الحافى ومعروف الكرخى وأبى حمزة البغدادى وغيرهم، توفى سنة 241هـ .

16/ أبو تراب النخشبى : هو الإمام الصوفى العارف بالله القدوة أبو تراب عسكر ابن حصين النخشبى، أحد رجال خراسان المذكورين بالعلم والأحوال السنية والفتوة والتوكل والزهد والورع، قال عنه الإمام المناوى فى طبقاته : (كان شيخ عصره باتفاق، جامعاً بين العلم والدين والزهد والتصوف .....)، كتب الكثير من الأحاديث و تفقه على مذهب الإمام الشافعى، وأخذ عنه الحديث الإمام أحمد ابن حنبل وابن الجلاء، عاصر ذا النون المصرى وإسماعيل بن موسى الفزارى، صحب حاتماً الأصم وأبا حاتم العطار المصرى، وشقيقاً البلخى وإبراهيم الخواص وأبا يزيد البسطامى، كما رافقه أبو حمزة البغدادى فى أسفاره، حج خمساً وخمسين حجة، توفى بالبادية سنة 245 هـ .

17/ ذو النون المصرى : هو الإمام الصوفى العارف بالله والزاهد القدوة أبو الفيض ذو النون ثوبان بن إبراهيم المصرى، هو نوبى من جنوب مصر، عاش فى أيام الخليفة المتوكل، كان من رواة الحديث فقد روى عن الإمام مالك والإمام الليث وأبى لهيعة وفضيل بن عياض وابن عيينة ومسلم الخواص، وروى عنه كثيرون منهم الحسن بن مصعب، وأحمد بن صبح الفيومى، والطائى، وإلى جانب إحاطته بالعلوم الشرعية وتفقهه فيها فقد كان أول من تكلم فى الأحوال والمقامات، توفى سنة 245هـ بالجيزة . فحمل فى قارب مخافة أن ينهار الجسر من كثرة مشيعيه، وقبره مشهور بالقاهرة .

18/ عبد الوهاب الوراق : هو أبو الحسن عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع الوراق، أسند الحديث عن يحى بن سليم الطائفى وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد ومعاذ

بن معاذ العنبرى، وكان مختصاً بصحبة الإمام أحمد بن حنبل، فكان أحمد ابن حنبل يقول : (إنى لأدعو الله له، ومن يقوى على ما يقوى عليه عبد الوهاب ؟)، وقيل لأحمد بن حنبل عند موته : من نسأل بعدك ؟ فقال : (سلوا عبد الوهاب)، غلب عليه الحزن فقال إبنه أبو بكر الحسن : ما رأيت أبى ضاحكاً إلاّ تبسماً، توفى سنة 251هـ .

19/ السرى السقطى : هو أبو الحسن السرى بن المغلس السقطى، خال الجنيد وأستاذه، شيخ المشائخ ومن سادات الصوفية الكبار، كان إمام البغداديين وشيخهم فى وقته، عاصر جعفر بن محمد بن نصير، الحسن المسوحى و أبا بكر النساج وغيرهم، وكان أوحد زمانه فى الورع وعلوم التوحيد والأحوال السنية، أخذ عن معروف الكرخى وسمع الحديث من الفضيل وهشيم وأبى بكر بن عياش ويزيد بن هرون، وروى عنه الجنيد وأبو العباس بن مسروق، وهو أول من أظهر ببغداد لسان التوحيد وتكلم فى الحقائق والإشارات، توفى سنة 251 هـ . وقبره ظاهر يزار فى الشونيزية ببغداد .

20/ أبو حفص الحداد : هو أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد، من سادات الصوفية الكبار، أصله من كورداباذا (قرية فى طريق بخارى وازبكستان فى دولة روسيا)، هو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور، وتخرج به عامة أعلام نيسابور، منهم أبو عثمان النيسابورى و شاه الكرمانى، عاصر الحسن بن على بن محمد الجواد ابن على الرضا بن موسى الكاظم، وأبا اسحق الجوزجانى ويحى بن معاذ الرازى، وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمى الدارمى صاحب السنن المشهور، صحب ابن خضرويه والأبيوردى، توفى سنة 260هـ .

21/ البسطامى : هو الإمام الصوفى العارف بالله الزاهد القدوة أبو يزيد طيفور ابن عيسى بن آدم البسطامى، نسبة إلى بسطام (بلدة على طريق نيسابور)، اسمه أحمد ولكن يلقب بطيفور - وطيفور معناه الطائر الذى لا يعلوه طائر - ولد سنة 188هـ عاصر يحى بن معاذ وإبراهيم بن شيبان الهروى، روى له أبو موسى الديبلى وأبو الفتح الحمصى بعض الأحاديث المسنودة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كان أعمق أهل زمانه حالاً مع الله، استغرقته الحال فى فراش الموت فختم تلاوة القرءان ثم فارق الحياة، توفى سنة 261هـ .

22/ الخراز : هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، عاش فى بغداد وصحب ذا النون المصرى وأبا عبيد البسرى والسرى وبشر بن الحارث وأحمد بن عطاء وغيرهم، وكان لكلٍّ طريقته ومنهجه السلوكى ولكن الجوهر واحد لا يتعدد، فالهدف الجامع المشترك هو الوصول إلى الله تعالى، فكان لهذا الكم من الشيوخ والتباين فى المشارب الأثر الصوفى الواضح فى حياة الخراز، فصحبهم بالموافقة وصحبوه بالإجلال، هو أول من تكلم فى علم الفناء والبقاء، توفى سنة 277هـ .

23/ سهل بن عبد الله التُّسْتَرى : هو الإمام الصوفى أبو محمد سهل بن عبد الله التُّسْتَرى، نسبة إلى تُستَر (مدينة فى خورستان فتحها البراء بن مالك فى خلافة سيدنا عمر)، ولد سنة 200هـ . رحل من تستر وأقام بالبصرة، من سادات الصوفية الكبار وأحد أئمة القوم،

ولم يكن له فى وقته نظير فى المعاملات والورع، حفظ القرءان وهو ابن سبع سنين، وكان يسأل عن دقائق الزهد والورع وفقه العبارة وهو ابن عشر فيحسن الإجابة، لقى ذا النون المصرى، صحب أبا حبيب حمزة بن عبد الله العبادى، صحبه أبو محمد الجريرى، أبو يعقوب السوس، أيوب الحمال، أبو الحسن البغدادى على بن محمد المزين ومحمد بن أحمد بن سالم، جمع تلاميذه - على رأسهم محمد بن أحمد بن سالم - من رسائل التسترى وكتبه وأقواله وإجاباته ما شكل تفسيراً للقرءان اقتبس منه المفسرون أمثال القرطبى وابن كثير وغيرهم، وتفسيره ينم عن معرفته بالحديث وروايته له إذ أنه كثيراً ما يستشهد بالحديث تعضيداً لما يورده من معنى للآية، فهو تفسير يجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير الإشارى، تكاملاً بين علمى الشريعة والحقيقة ، توفى سنة 283هـ .

24/ أبو حمزة البغدادى : هو الإمام الصوفى الكبير أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادى البزاز، صحب السرى وحسن المسوحى، كما رافق أبا تراب النخشبى فى أسفاره، كان من أقران الجنيد وكان فقيهاً عالماً بالقراءات، كان أستاذ البغداديين فى التصوف، وعاصر الإمام أحمد بن حنبل، فكان ابن حنبل إذا عجز عن جواب مسألة يقول للشيخ أبى حمزة : ما تقول فى هذا يا صوفى ؟ فإذا أجابه بشئ أخذه، توفى سنة 289هـ .

25/ سمنون بن حمزة : هو العابد الزاهد أبو الحسن أو أبو القاسم سمنون ابن حمزة، كان أحد كبار مشائخ الصوفية، عاصر أبا بكر الواسطى وأبا عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، صحب السرى وأبا أحمد والقلانسى ومحمد بن على القصاب، كان ظريف الخلق يكثر الكلام فى المحبة، سكن بغداد وتوفى سنة 290 هـ .

26/ إبراهيم الخواص : هو أبو اسحق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص، من سادات الصوفية الكبار ومن أقران الجنيد والنورى، عاصر اللغوى أبا العباس ثعلب وأبا العباس أحمد بن مسروق، صحب أبا عبد الله محمد بن إبراهيم المغربى، توفى سنة 291هـ .

27/ عمرو بن عثمان المكى : هو الإمام الصوفى الكبير أبو عبد الله عمرو ابن عثمان بن كرب بن غصص المكى، صحب الجنيد وأباعبد الله النباجى وأبا سعيد الخراز، كان عالماً بالحديث وراوياً له، وكان ثبتاً فى علم الأصول، وأحد أئمة الطائفة فى علوم الطريقة، أقام ببغداد و توفى بها سنة 291 هـ .

28/ الحسين النورى : هو أبو الحسين أحمد بن محمد النورى، سمى النورى لانقطاع ضوء السراج من ضياء وجهه، هو أحد كبار مشائخ السادة الصوفية وأئمتهم، خرسانى الأصل لكنه ولد ونشأ في بغداد، كان من أهل الوجد والإشارات اللطيفة، صحب السرى السقطى وأسند عنه حديثاً واحداً، كما صحب ابن الحوارى ومحمد بن على القصاب، كما كان من أقران الجنيد، كان يقول : (علامة السعادة أن تطيع الله وتخاف أن تكون مردوداً، والشقاوة أن تعصيه وترجو أن تكون مقبولاً)، توفى سنة 295هـ .

29/ الجنيد : هو الإمام العارف بالله القدوة الزاهد العابد المعروف عند القوم وغيرهم بسيد الطائفة أبو القاسم الجنيد بن محمد بن جنيد، أصله من نهاوند (فى بلاد فارس) ولكنه

ولد ونشأ فى العراق، كان فقيهاً يفتى على مذهب أبى ثور، وأبو ثور هذا كان من أصحاب الإمام الشافعى وراوى مذهبه القديم، وكان الجنيد يفتى بحضرته وهو ابن عشرين سنة، صحب السرى السقطى والحارث المحاسبى ومحمد بن على القصاب، أسند الحديث عن الحسن بن عرفة، كما اجتمع بالإمام أحمد بن حنبل ونقل عنه الحديث، توفى سنة 297هـ . وقبره فى بغداد بجانب خاله وأستاذه السرى السقطى .

30/ أبو عثمان الحيرى النيسابورى : هو سعيد بن إسماعيل، أصله من الرى، صحب يحى بن معاذ الرازى وشجاع الكرمانى، وعاصر أبا عبد الله بن الجلاء، سمع من حميد بن الربيع، ثم رحل إلى نيسابور وأخذ الطريق الصوفى عن أبى حفص الحداد، كان أوحد زمانه فى سيرته، توفى بنيسابور سنة 298هـ .

31/ ممشاد الدينورى : وقيل ممشاذ، كان من كبار مشائخ الصوفية، صحب يحى بن الجلاء الذى صحب بشر بن الحارث والحكيم الترمذى، كما صحب آخرين، سمع منه أبوبكر الرازى، شهد له بالرسوخ والعرفان والتمكن جمهرة أهل التحقيق منهم السلمى الذى قال عنه : (عظيم المرمى فى هذه العلوم - يعنى علوم الحقائق -، أحد فتيان الجبال، كبير الحال، ظاهر الفتوة)، توفى سنة 299هـ .

32/ رويم : هو أبو محمد رويم بن أحمد، من بنى شيبان، كان محدثاً ومقرئا وعالماً بالشريعة، وفقيهاً على مذهب داود الأصبهانى، أسند الحديث عن يزيد بن سنان البصرى، سمع منه جعفر الخلدى وعبد الله بن محمد الدينورى وأحمد بن فارس وآخرون، توفى ببغداد سنة 303 هـ .

33/ إبن الجلاء : هو أبو عبد الله أحمد بن يحى بن الجلاء، هو من كبار مشائخ الصوفية، بغدادى الأصل أقام بالرملة (فلسطين) ودمشق (سوريا) من أكابر مشايخ الشام، صحب أباه يحى بن الجلاد و ذا النون المصرى و أبا عبيد البسرى كما صحب أبا تراب النخشبى، هو استاذ محمد بن داود الرقى، توفى سنة 306 هـ .

34/ الجريرى : هو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريرى، والجريرى نسبة إلى جرير بن عباد من بنى بكر بن وائل، من كبار أصحاب الجنيد، صحب سهل ابن عبد الله، وكان عالماً بعلوم الصوفية، وأسند الحديث، توفى سنة 311 هـ.

35/ أحمد بن عطاء الآدمى أو الأدمى : هو أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمى، كان من ظراف المشايخ، صحب الجنيد وإبراهيم المارستانى، وكان ابو سعيد الخراز يقول : (التصوف خلق، وما رأيت من أهله إلاّ الجنيد وابن عطاء)، توفى سنة 311هـ .

36/ أبو الحسن الوراق : هو أبو الحسن محمد بن سعيد الوراق، أحد مشايخ الصوفية الكبار ومن قدماء أصحاب أبى عثمان الحيرى، مكث بمسجد الحيرى وأخذ عنه، كان عالماً بفقه الظاهر وعلم دقائق المعاملات وعيوب الأفعال، توفى قبل سنة 320 هـ .

37/ أبو بكر الكتانى : هو أبو بكر محمد بن على الكتانى، من سادات الصوفية الكبار، بغدادى الأصل، صحب الجنيد والخراز والنورى، اشتهر بكثرة العبادة والذكر وقيام الليل، ذكر صاحب تاريخ بغداد أن الكتانى ختم فى الطواف اثنتى عشرة ألف ختمة، كما

لقبه الإمام المرتعش بـ (سراج الحرم) نسبة لطول سهره وعبادته، جاور بمكة حتى توفى فيها سنة 322هـ .

38/ أبو على الروذبارى : هو أبو على أحمد بن محمد القاسم بن منصور ابن شهريار بن مهرذادار بن فرغد بن كسرى، أحد كبار مشائخ السادة الصوفية وأئمتهم، كان حافظاً للحديث، أخذ الحديث عن إبراهيم الحربى، والفقه عن أبى العباس ابن سريج، والنحو عن ثعلب، والتصوف عن الجنيد، صحب الجنيد والنورى وابن الجلاء وأباحمزة البغدادى والمسوحى وغيرهم، بغدادى المولد ولكنه أقام بمصر وتوفى فيها سنة 322هـ .

39/ أبو على الثقفى : هو أبو على محمد بن عبد الوهاب الثقفى، من كبار مشائخ الصوفية، صحب أبا حفص وحمدون القصار، وهو الذى أظهر التصوف فى نيسابور، توفى سنة 328هـ .

40/ المزين : هو أبو الحسن على بن محمد المزين، من كبار مشائخ الصوفية، صحب سهل بن عبد الله والجنيد، وسمع منه جعفر الخلدى وأبو بكر الرازى، بغدادى المولد، ولكنه توفى بمكة مجاوراً، سنة 328 هـ .

41/ الشبلى : هو شيخ المشائخ أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى، وقيل جعفر ابن يونس، من سادات الصوفية الكبار، أصله من خراسان (من قرية شبلية)، ولكنه ولد فى بغداد سنة 247هـ . كان حاجب الموفق، وترقى فى مناصب الدولة حتى صار والياً بنهاوند والبصرة، ولكن عناية الله جعلته يتوب فى مجلس خير النساج، تفقه على مذهب الإمام مالك، واشتغل بعلم الحديث، وروى منه الكثير، وأسند له حديث واحداً، روى عنه أحمد بن محمد بن ثابت بن محمد بن على الجمال، كما ذكر السلمى من مرويات الشبلى بإسناده عن أبى سعيد الخدرى، صحب الجنيد وأخذ عنه، كان شيخ وقته : حالاً، وظرفاً، وعلماً، توفى سنة 334هـ .

42/ أبو الخير الأقطع : نسبة إلى قرية تينات من بلاد المغرب العربى، من كبار سادات الصوفية، عاصر إبراهيم بن محمد المراغى ومحمد بن الفضل وأبا الحسن البغراسى، صحب أبا عبد الله بن الجلاء وغيره، توفى سنة 340هـ .

43/ أبو القاسم النصراباذى : هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن محمومة النصراباذى، نيسابورى الأصل، شيخ خراسان فى وقته فكان يُرجَع إليه فى أنواع العلوم من حفظ السنن وعلوم التواريخ وعلم الحقائق، كما كان أوحد المشائخ فى وقته علماً وحالاً، كتب الحديث ورواه، وصحب أبا بكر الشبلى، أبا على الروذبارى، أبا محمد المرتعش وغيرهم، أقام بنيسابور، ثم خرج للحج وأقام بالحرم مجاوراً، حتى توفى سنة 367هـ .

44/ السراج الطوسى : هو الحافظ أبو نصر عبد الله بن على بن محمد بن يحى، كان كثير الترحال إذ تنقل بين القاهرة، بغداد، دمشق، الرملة، دمياط، البصرة، تبريز، نيسابور، وقد أكسبته هذه الرحلات المعرفة الوافية بالرجال الذين ترجم لهم، صحب أبا عبد الله الروذبارى، وروى عنه جعفر الخلدى وأبو بكر محمد بن داود الرقى . والطوسى

هذا قد أنجب مدرسة الأقلام الصوفية الكبيرة لأن عنه أخذ السلمى الحديث وعن السلمى حدَّث القشيرى، له تصانيف عديدة أشهرها (اللمع) و (تخريج الصحيح على كتاب مسلم)، توفى الطوسى فى رجب سنة 387 هـ .

45/ أبو على الدقاق : هو أبو على الحسن بن على النيسابورى المشهور بالدقاق، من كبار سادات الصوفية، عاصر السلمى وأبا على الروذبارى وأبا نصر أحمد ابن محمد بن الحسين الكلاباذى أخذ عنه الإمام أبو القاسم القشيرى، توفى سنة 405هـ .

46/ القشيرى : هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبدالملك، نُسِبَ إلى جده وأبى القبيلة قشير بن كعب بن ربيعة، ولد بخراسان سنة 376هـ، سمع الحديث من الحاكم النيسابورى وابن فورك والسلمى، وأخذ التصوف عن الشيخ أبى على الدقاق، أشار إليه شيخه الدقاق بالعلم فخرج القشيرى إلى درس أبى بكر محمد ابن أبى بكر الطوسى، ثم اختلف إلى الأستاذ أبى بكر بن فورك فقرأ عليه علم الأصول، ثم تردد إلى الأستاذ أبى اسحق الإسفرائينى، ثم قرأ كتب أبى بكر بن الطيب الباقلانى، ومع ذلك كان يحضر مجالس أبى على الدقاق، عاصر إمام الحرمين عبد الملك الجوينى و أبا سهل بن الموفق، بلغ مرتبة كان فيها المتكلم الأصولى والمفسر الأديب والنحوى الكاتب والشاعر لسان عصره وسيد وقته، مؤكداً ذلك بكثرة مؤلفاته القيمة فى تلك المجالات العلمية، توفى سنة 465هـ . وقبر بجانب شيخه أبى على الدقاق .

47/ الغزالى : هو حجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالى، ولد فى طوس سنة 445هـ . تلقى العلم على الأستاذ أحمد بن محمد الراذكانى، أبى نصر الإسماعيلى، وإمام الحرمين عبد الملك بن أبى محمد الجوينى، ثم خرج إلى بغداد وولى التدريس بالمدرسة النظامية، وبلغ أوج مجده العلمى إذ كان يحضر درسه ثلاثمائة عمامة من أكابر العلماء، ومائة من الأمراء، ثم انتقل إلى خراسان وتولى التدريس بالمدرسة النظامية فى نيسابور، حباه الله بفكر ثاقب وروح تواقة للمعرفة المحضة وصبر دؤوب وجلد فطرى مما جعله يبدأ بالفلسفة ثم يتقحم كل الطوائف الدينية فى وقته بحثاً عن السعادة الأخروية والطمأنينة الفكرية، حتى استقر به المطاف فى دوحة التصوف التى ولجها عن قناعة الذى بحث كل السبل فلم يجد طريقةً أمثل منها حسبما ذكر فى كتابه (المنقذ من الضلال- الذى ترجم فيه سيرته العلمية)، فأخذ التصوف عن سيدى يوسف النساج، وسيدى الفارمدى، الذى أخذ عن أبى القاسم الكركانى، عن أبى عثمان المغربى، عن أبى على الكاتب، عن أبى على الروذبارى، عن الجنيد، تفقه على مذهب الشافعى وكتب فى الأصول، بل تعددت كتاباته فى كل الفنون وأبدع، و عن كتاب (إحياء علوم الدين) قال الإمام النووى : (كاد الإحياء أن يكون قرآناً)، وتسمية الكتاب توحى بأن تأليفه كان بهدف إحياء الدين بإحياء علومه والدعوة الصادقة المخلصة إلى الله تعالى، ومن ثَمّ انعقد إجماع الأئمة على أن الإمام الغزالى هو مجدد المائة الخامسة وقد صرح له بهذا المقام الإمام السيوطى فى أرجوزته عن المجددين، وجدير بمن خلع ربقة التقليد منذ بداياته أن ينتهى بمقام المجدد، من أشهر تلاميذه محمد بن يحى، خرَّج الحافظ

زين الدين العراقى أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أحاديث كتاب (إحياء علوم الدين) فى كتاب سماه (المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار)، توفى سنة 505هـ .

48/ الجيلانى : هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله، ولد بجيلان فى عام 470هـ . رحل إلى بغداد للعلم، أخذ الحديث عن ابن منده، صحب حماد الدباس وأبا سعيد المخرمى، ذكر الإمام الشعرانى فى طبقاته : كان رضى الله عنه يتكلم فى ثلاثة عشر علماً، وكانوا يقرأون عليه فى مدرسته درساً من التفسير، ودرساً من الحديث، ودرساً من المذهب، ودرسا فى الخلاف، وكانوا يقرأون عليه طرفى النهار التفسير وعلوم الحديث والمذهب والخلاف والأصول والنحو، وكان رضى الله عنه يقرأ القرءان بالقراءات بعد الظهر، وكان يفتى على مذهبى الإمام الشافعى والإمام أحمد ابن حنبل، عاصر الآثار الصوفية للقشيرى والغزالى وهو مؤسس الطريقة القادرية، وطريقته من أوسع الطرق انتشاراً فى دول العالم، ومنها تفرعت الطريقة القادرية العركية بالسودان وسندها الشيخ عبد الله العركى، وللطريقة القادرية بالسودان أسانيد أخرى عبر مجموعة من مشائخ الصوفية التى يرجع إليها أصل كثير من بيوتات الدين العريقة، توفى ببغداد سنة 561هـ.

49/ الرفاعى : هو أحمد بن أبى الحسين على بن أحمد بن يحى بن حازم بن رفاعة، نسبة إلى قبيلة بنى رفاعة من العرب، كنيته أبو العباس، ولد سنة 512هـ . وتربى فى كنف خاله العارف الربانى سيدى منصور البطائحي، بعد أن حفظ القرءان أخذه خاله البطائحى إلى الشيخ على القارى الواسطى فرباه وسلّكه فى طريق التصوف، كما التحق بالشيخ أبى بكر الواسطى الأنصارى وأخذ عنه علوم الشريعة، تفقه على المذهب الشافعى فبرع فيه وألف فيه كما صنف فى التفسير والحديث وعلوم القوم، عاصر الحافظ ابن عساكر صاحب التاريخ، وهبة الله بن كامل المصرى التنوخى و الجيلانى والبدوى، وأسس الطريقة الرفاعية، وقد ترجم له الحافظ الذهبى قائلاً : (الإمام القدوة العابد الزاهد شيخ العارفين أبو العباس أحمد بن أبى الحسن .... الرفاعى المغربى ثم البطائحى)، توفى سنة 570هـ وقيل 578هـ .

50/ ابن الجوزى : أبو الفرج بن الجوزى عبد الرحمن بن على بن محمد بن جعفر التيمى البكرى، ولد سنة 510 هـ . بمحلة الجوز بالبصرة وإليها نسب، حفظ القرءان بمسجد خاله الحافظ أبى الفضل ابن ناصر السلامى البغدادى، أخذ الفقه من أبى الحسن بن الزاغوتى، وقرأ الخلاف والجدل والأصول على أبى بكر الدينورى، والقاضى أبى يعلى، وسمع الحديث عن القاضى أبى بكر الأنصارى، وأبى القاسم الحريرى، وأبى غالب الماوردى، وأبى القاسم السمرقندى، وعبد الواحد الدينورى ، وقد عد من مشايخه أكثر من سبعة وثمانين نفساً، سمع منه الكثيرون منهم ولده الصاحب محى الدين، وموفق الدين بن قدامة، وابن الدبيثى، والحافظ عبد الغنى المقدسى وغيرهم، شملت مصنفاته عدة علوم منها الفقه والحديث والتفسير والوعظ والزهد والأخبار والتاريخ والطب حتى بلغت أكثر من ثلاثمائة وأربعين مصنفاً، توفى سنة 597هـ .

51/ الفخر الرازى : محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى القرشى، ولد بمدينة الرى (اشتق منها الرازى على غير قياس) قرب خراسان بإيران سنة 543هـ . كان والده ضياء الدين أول شيوخه، ثم أخذ الفقه على الكمال السمنانى، والحكمة على المجد الجيلى بمراغة، صاحب محمد بن يحى أحد تلاميذ الإمام حجة الإسلام الغزالى، شافعى المذهب أشعرى العقيدة، له مناظرات كثيرة مع المعتزلة ينتصر فيها لأهل السنة، ذكر له أكثر من مائة مصنف ما بين مطبوع ومخطوط وجلها فى الفقه والأصول واللغة والفرق الإسلامية، له تفسير يعرف بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب أو تفسير الرازى، ويحتوى داخله عدة علوم كونية وفلكية، من تلاميذه إبراهيم بن ابى بكر بن على الأصبهانى وأحمد بن الخليل بن عيسى البرمكى وشهاب الدين النيسابورى وغيرهم، ذكر على سامى النشار فى تحريره لكتاب الرازى (إعتقادات فرق المسلمين والمشركين)، ذكر أن الرازى فى أواخر أيامه أدركته حالة صوفية فكان يردد :

نهـايـة إقـدام العقـــول عقـــال و أكثر سـعى العالمـين ضلالُ
وأرواحنا فى وحشــة مـن جسـومنا وحـاصل دنـيـانـا أذى ووبـــالُ
ولـم نستفد مـن بحثنا طـول عمـرنا سوى أن جمعنا فـيه قيل وقالـوا

توفى بمدينة هراة سنة 606هـ .

52/ السهروردى : هو أبو حفص شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد التميمى البكرى، ولد بسهرورد عام 539 هـ . شافعى المذهب، صحب عمه أبا النجيب عبد القاهر وعنه أخذ التصوف، وأخذ عن أبى القاسم بن فضلان، كما صحب الشيخ عبد القـادر الجيلانى، كان فقيهاً عالماً واعظاً، رحل إلى بغداد وأخذ عنه هبة الله بن الشبلى، سمع الحديث من جماعة وروى عنه ابن الدبيثى والزلكى البرزلى وابن النجار وطائفة، عاصر شرف الدين عمر بن الفارض وابن عساكر المقدسى الزاهد إسماعيل بن غانم الأصبهانى الصوفى المعروف ببابه، له تصانيف كثيرة أشهرها (عوارف المعارف)، توفى سنة 632 هـ .

53/ محى الدين بن عربى : هو ابو عبد الله أو أبو بكر محى الدين محمد بن على ابن محمد الحاتمى الطائى المعروف بابن عربى، ولد بمرسية سنة 560هـ . فى الأندلس، وكان ابوه على بن محمد من أئمة الفقه والحديث ومن أعلام الزهد والتقوى والتصوف، أما جده فكان أحد قضاة الأندلس، ففى هذه البيئة التقية نشأ ابن عربى، تنقل بين مكة، مصر، العراق وأخيرا استقر فى دمشق، عاصر السهروردى واجتمع به، ذكر من شيوخه بضعاً وستين شيخاً، وقد استوعب كل ما وقع بيده من مصنفات وما سمعه من شيوخه، مما انعكس فى غزارة مؤلفاته التى بلغت خمسمائة كتاب، كان عارفاً بالآثار والسنن، وكان أعرف بكل فن من أهله، قال عنه ابن العماد (بلغ مبلغ الاجتهاد فى الاختراع والاستنباط وتأسيس القواعد والمقاصد التى لا يدريها ولا يحيط بها إلاّ من طالعها بحقها) أهـ . توفى بالشام، سنة 638هـ . وقبره بالصالحية (من أحياء دمشق) .

54/ الشـاذلى : هو أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلى (من قرية شاذلة بإفريقيا - بلاد المغرب)، ولد سنة 593هـ . رحل إلى تونس ولقى جهابذة العلم، تفقه على مذهب الإمام مالك واشتغل بالعلوم الشرعية وأتقنها، قال عنه الإمام ابن عطاء الله : (إنه لم يدخل طريق القوم حتى كان يعد للمناظرة فى العلوم الظاهرة)، قدم من المغرب إلى الإسكندرية ومكث فيها وأسس الطريقة الشاذلية، صحب نجم الدين الأصفهانى وأبا الفتح الواسطى، أخذ الطريقة الصوفية على عبد السلام بن مشيش، وأخذ عنه عز الدين بن عبد السلام، والشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد، والشيخ عبد العظيم المنذرى، وابن الصلاح، توفى فى رحلة الذهاب للحج سنة 656 هـ، وقبره بوادى حميثرى بصحراء عيذاب (أقصى صعيد مصر) .

55/ عـز الدين بن عبد السـلام : عز الدين بن محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبى القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمى، ولد بدمشق سنة 577هـ . درس الفقه على فخر الدين بن عساكر، والأصول على سيف الدين الآمدى وغيره، أخذ الحديث عن الحافظ أبى محمد القاسم وعبد اللطيف بن إسماعيل ابن أبى سعد البغدادى، وعبد الصمد بن محمد الحرستانى ومن فى طبقتهم، ولى الخطابة والإمامة بالجامع الأموى، ثم رحل إلى مصر وولى قضاء مصر، ومن تلاميذه ابن دقيق العيد، علاء الدين أبو الحسن الباجى، تاج الدين بن الفركاح، أبو محمد الدمياطى، أبو محمد هبة الله القفطى، وشهاب الدين أبو شامة، توفى بالقاهرة سنة 660هـ .

56/ البدوى : هو أبو العباس أحمد بن على بن محمد بن أبى بكر البدوى، ولد بفاس (المغرب) سنة 596 هـ . حفظ القرءان وأتقن علم القراءات، وتفقه على مذهب الإمام الشافعى، رحل إلى مصر وعاش بطندتا (طنطا)، عاصر الجيلانى والرفاعى والدسوقى وابن دقيق العيد وعبد العزيز الديرينى والشيخ سالم المغربى، أسس الطريقة الأحمدية، أخذ عنه كثيرون منهم خليفته الشيخ عبد العال، عاش بطندتا، وتوفى فيها سنة 675 هـ .

57/ الدسوقى : إبراهيم بن أبى المجد بن قريش بن محمد بن أبى النجا الدسوقى - نسبة إلى دسوق بكفر الشيخ بمصر، ولد فى 633هـ . تفقه على مذهب الإمام الشافعى، وهو مؤسس الطريقة الدسوقية التى تفرعت عنها الطريقة البرهانية التى أسسها الشيخ محمد عثمان عبده البرهانى بالسودان وقامت بنشر الإسلام فى كثير من البلاد الأوروبية، توفى سنة 676 هـ .

58/ الإمام النووى : أبو زكريا يحى بن شرف بن مرى الحزامى النووى . ولد فى قرية نوى بالشـام سنة 631هـ . وقدم دمشق للعلم، شافعى المذهب، سمع من الرضى بن البرهان، عبد العزيز محمد الأنصارى و جمال الدين بن الصيرفى وغيرهم، ومن تلاميذه الخطيب صدر سليمان الجعفرى، شهاب الدين الأربدى، علاء الدين ابن العطار بن أبى الفتح والمزنى وآخرون، له من التصانيف ما يربو عن الثلاثين كتاباً، وصفه بن السبكى فى طبقات الشافعية بالزهد والقناعة ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة مع

التفنن فى أصناف العلوم من فقه وحديث ولغة وصرف وأدب، توفى بنوى - فى سوريا - سنة 676هـ .

59/ ابن تيمية : هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية، (وتيمية اسم جدته لأبيه)، ولد بحران سنة 661هـ . إنتقل زمن التتار مع والده إلى دمشق وهو صغير السن، ذكر تلميذه ابن قيم الجوزية فى كتابه (مدارج السالكين - تحت عنوان : أنواع الفراسة) أن لشيخه ابن تيمية فى الفراسة أموراً عجيبة، منها أنه فى عام اثنتين وسبعمائة أقسم أكثر من سبعين يميناً على هزيمة التتار ونصر المسلمين، فيقال له قل إن شاء الله، فيقول : أن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وسمعته يقول ذلك، قال : فلما أكثروا على، قلت : لا تكثروا، كتب الله فى اللوح المحفوظ أنهم مهزومون فى هذه الكرة، وأن النصر لجيوش الإسلام، توفى سنة 729هـ .

60/ الحافظ الذهبى : هو الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركمانى الأصل، ولد فى دمشق سنة 673هـ . أخذ القرآن عن الشيخ مسعود ابن عبد الله الصالحى فجرد عليه نحواً من أربعين ختمة، ودرس القراءات على الشيخ عبد الله بن جبريل المصرى والشيخ على أبى منصور الخياط البغدادى، سمع الحديث من أحمد بن هبة الله بن عساكر، زينب بنت عمر بن كندى، ابن دقيق العيد، أبى محمد الدمياطى وأبى الحسن على بن أحمد الغرافى، أخذ علوم الدين واللغة والأدب من علاء الدين على بن محمد الحلبى المعروف بالبصبص، مهر فى الحديث وتراجم الرجال، له تصانيف تقدر بنحو من ستة وأربعين كتاباً، أخذ عنه الصلاح بن الصفدى وتاج الدين السبكى، توفى سنة 748هـ .

61/ تاج الدين السبكى : هو القاضى تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على ابن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكى الأنصارى الخزرجى، ولد بالقاهرة سنة 727هـ . سمع الحديث بمصر من جماعة، ثم قدم دمشق، قرأ على الحافظ المزى و لازم الذهبى وتخرج به، أجازه شمس الدين بن النقيب بالإفتاء، برع فى فنون العلم من الأصول والحديث والأدب، وصنف فيها التصانيف العديدة التى تدل على سعة اطلاعه وتقدمه فى البحوث العلمية والتاريخية وأشهر مؤلفاته : (جمع الجوامع) و (طبقات الشافعية)، توفى سنة 771هـ .

62/ الحافظ ابن كثير : هو الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، قرشى النسب، دمشقى الدار، ولد بقرية بُصرى (قرب دمشق) سنة 701هـ . تفقه على الشيخين برهان الدين الفزارى وكمال الدين بن قاضى شهبة، قرأ الأصول على الأصفهانى، ولى مشيخة أم الصالح بعد وفاة الذهبى، وبعد وفاة السبكى ولى مشيخة دار الحديث الأشرفية، كان مقرئاً متقناً، وراوياً للحديث موثوقاً كما كان مفسراً ومؤرخاً معروفاً، له نفس موسوعى يبرز جلياً فى كتابه (البداية والنهاية)، توفى سنة 774هـ .

63/ الشاطبى : هو إبراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى المالكى، كان عالماً بالقراءات وأصولياً وفقيهاً، عاصر محب الدين أحمد بن محمد المعروف بالسبتى، وعبد الواحد بن

عبد الله المغربى المعروف بابن اللوز، اشتهر بكتابه (الموافقات فى أصول الشريعة) توفى سنة 790هـ .

64/ ابن رجب الحنبلى : هو زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن عبد الرحمن الملقب برجب بن الحسن بن محمد بن أبى البركات مسعود السلامى البغدادى، ولد فى بغداد سنة 736هـ . قدم من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير السن، بدأ العلم على أبيه وجده، وأجازه ابن النقيب والنووى، سمع بمكة على الفخر عثمان ابن يوسف، اشتغل بالحديث، وحدَّث عن محمد بن الخباز وإبراهيم بن داود العطار وأبى الحرم محمد بن القلانس، وسمع بمصر من صدرالدين أبى الفتح الميدومى، كان واعظاً بليغاً، ساعده فى الوعظ والتذكير معرفته بالسيرة والمناقب وأخبار الصحابة وتراجم الرجال، تخرج به غالب حنابلة دمشق فى زمانه، له من المصنفات ما يقرب إلى الثلاثين كتاباً، توفى سنة 795هـ .

65/ ابن خلدون : هو أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد ابن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الشيخ أبى بكر حمد بن خلدون الحضرمى (أصله يمنى من حضرموت)، ولد فى تونس عام 732هـ . أخذ الفقه والحديث والسيرة واللغة عن محمد بن عبد المهين، وأخذ الأصول والمنطق عن أبى عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلى، عاصر الوزير لسان الدين ابن الخطيب، كتب رائعته (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) وأميز ما فى كتابه هذا مقدمته التى جاءت فى مجلد كامل اسمه : (مقدمة ابن خلدون) والتى أرسى فيها مبادئ علم الإجتماع الحديث، توفى سنة 808هـ .

66/ أحمد زروق : هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسى الفاسى المعروف بزروق فاس، ولد سنة 846هـ . كان صوفياً ومحدثاً وفقيهاً عالماً بالأصول والفروع، له من المصنفات ما يقارب الثلاثين كتاباً، أشهرها (قواعد التصوف)، توفى فى طرابلس المغرب، سنة 899 هـ .

67/ الإمام جلال الدين السيوطى : هو جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان الأسيوطى، ولد بمصر سنة 849هـ . نشأ يتيماً وحفظ القرآن وله دون ثمان سنين، أخذ العلم عن مائة وخمسين شيخاً منهم العلامة شهاب الدين الشارمساحى، الشيخ علم الدين البلقينى، شرف الدين المناوى، أخذ الحديث والعربية عن الإمام تقى الدين الشبلى، وأخذ التفسير عن الأستاذ محى الدين الكافيجى، وفى ترجمته عن نفسه فى كتابه (حسن المحاضرة) قال : (رزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير، الحديث، الفقه، النحو، المعانى، البيان و البديع، ودون هذه السبعة أصول الفقه، الجدل، التصريف، ودونها الإنشاء والترسل والفرائض، ودونها القراءات، ولم آخذها عن شيخ،ودونها الطب) . ومن هذه الغزارة العلمية بدأ الكتابة وعمره خمس عشرة سنة، وعد له من الكتب ما يربو عن الأربعمائة وستين مؤلفاً مذكورة فى فهرس كتبه نص على ذلك الإمام الشعرانى فى ذيل طبقاته، عاصر السخاوى وأخذ عنه

الشعرانى، توفى سنة 911هـ . ودفن خارج باب القرافة بالقاهرة، وقبره ظاهر وعليه قبة.

68/ الشعرانى : هو عبد الوهاب بن أحمد بن على بن أحمد بن على بن محمد، ينتهى نسبه إلى السيد محمد بن الحنفية، ولد سنة 898هـ . ببلدة قلقشندة (مصر)، ونشأ فى قرية ساقية أبى شعرة وإليها انتسب فعرف بالشعرانى، وقال عن نفسه الشعرانى، كنيته أبو المواهب، شافعى المذهب، أخذ عن الشيخ ناصر الدين اللقانى، جلال الدين السيوطى، زكريا الأنصارى، الرملى والسمنودى وأضرابهم، أخذ عن هؤلاء العلماء شتى أصناف العلوم فى الأصول، الفقه، الحديث، التفسير، الأدب واللغة، الأمر الذى أكسبه المعرفة الموسوعية، ثم اتصل أخيرا بشيخه الشيخ على الخوَّاص الذى أخذ عنه التصوف فاجتمع له العلم والعمل وجاء بالكتب والمصنفات العديدة، فذكر صاحب المناقب الكبرى أنّ مؤلفات الشعرانى جاوزت الثلاثمائة كتاب فى مختلف العلوم من تفسير وحديث وطب ولغة وتصوف وفقه فى مختلف المذاهب، توفى سنة 973 هـ . ودفن بجانب زاويته بالقاهرة .

69/ حاجى خليفة : العلامة الشيخ مصطفى أفندى بن عبد الله أفندى القسطنطينى المولد والمنشأ والمسكن، الشهير بالكاتب الجلبى تارة وبالحاج خليفة تارة أخرى، ولد فى اسلامبول سنة 1017هـ . حنفى المذهب، أخذ العلوم الآلية عن الملاّ أحمد الجلبى، وسائر العلوم عن العلامة الشيخ محمد بن مصطفى الباريكسبرى المعروف بقاضى زادة الحنفى، كما أخذ عن عبد الله الكردى، ولى الدين المنشاوى الذى أخذ عن إبراهيم اللقانى، كما درس الفقه والفلسفة والكلام على الشيخ مصطفى الأعرج، ومن تلاميذه ابنه العلامة الحاج فخر الدين محمد الجلبى، العلامة محى الدين البرساوى والعلامة الملاّ محمد نعيم الشاعر، جاد قلمه بعدة مؤلفات أشهرها كتابه : (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون)، توفى باسلامبول، سنة 1067هـ .

70/ الفقيه الكبير ابن عابدين : هو محمد أمين الشهير بابن عابدين، ولد سنة 1198هـ . حنفى المذهب، قرأ على الشيخ سعيد الحلبى، الشيخ السيد شاكر، كما قرأ على الأخوين الشيخ عبد القادر والشيخ إبراهيم وهما حفيدا الشيخ عبد الغنى النابلسى، كما أخذ عن هبة الله البعلى، من أهم كتبه (حاشية رد المحتار على الدر المختار : شرح تنوير الأبصار فى فقه مذهب الإمام أبى حنيفة)، توفى سنة 1252هـ.

71/ السيد أحمد بن إدريس : هو مؤسس الطريقة الإدريسية، ولد ونشأ بشنقيط (المغرب العربى)، درس العلم على المجيدرى وأخذ التصوف عن الشيخ عبد الوهاب التازى الذى أخذ عن الشيخ عبد العزيز الدباغ، أخذ عنه كل من أبى العباس السيد أحمد التجانى، السيد محمد المجذوب السواكنى بالسودان والسيد محمد عثمان الميرغنى الختم الكبير، رحل إلى اليمن وتوفى بها فى مدينة صبية، ودفن فيها سنة 1253هـ .

72/ النبهانى : هو يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد بن ناصر الدين النبهانى، نسبة لقبيلة نبهان بفلسطين، ولد فى قرية أجزم شمال فلسطين سنة 1165هـ .

قرأ القرءان على والده، ثم درس العلم بالجامع الأزهر بمصر، صحب شيوخ عصره الذين منهم الشيخ إبراهيم السقا، السيد محمد الدمنهورى، الشيخ أحمد الأجهورى، والشيخ حسن العدوى المالكى، وغيرهم، له مؤلفات ومصنفات تربو عن الأربعين كتاباً، جلها فى السيرة النبوية والحديث وتراجم الرجال وما إلى ذلك من صنوف العلم، توفى فى بيروت سنة 1350هـ .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم والحديث الشريف :

1/ القرآن الكريم .
2/ التفسير الكبير : للإمام محمد الرازى فخر الدين - المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - 1423هـ/2003م .
3/ تفسير القرطبى : لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى 1420هـ/2000م .
4/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل : تأليف أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزَّمَخْشَرِى الخَوَارِزْمى - دار المعرفة - بيروت .
5/ تفسير البيضاوى المسماة أنوار التنزيل وأسرار التأويل : للإمام القاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله أبى عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - 1416هـ /1996م .
6/ تفسير القرآن العظيم : للإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى : الدار السودانية للكتب - ط السادسة 1413هـ / 1993م .
7/ تفسير النسفى : للإمام الجليل العلامة أبى البركات عبد الله بن أحمد ابن محمود النسفى : دار الكتاب المصرى .
8/ حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين : للعارف بالله تعالى العلامة الشيخ أحمد الصاوى المالكى : دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان .
9/ صحيح البخارى : للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى : دار السلام للنشر والتوزيع - ط الأولى 1417هـ /1997م .
10/ صحيح مسلم : للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى : دار الحديث - القاهرة - ط الأولى 1412 هـ / 1991م .
11/ سنن ابن ماجه : للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى بن ماجه - حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
12/ سنن أبى داود : للإمام الحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى - دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ط الأولى 1419هـ/ 1998م.
13/ الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة : دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان - 1415هـ/ 1995م .
14/ سنن النسائى : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى : البشائر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ط الرابعة 1414هـ / 1994م .

15/ مسند الإمام أحمد بن حنبل : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى 1413 هـ / 1993م .
16/ المستدرك على الصحيحين : أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى المعروف بالحاكم : تحقيق الدكتور محمود مطرجى : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - ط الأولى 1421هـ /2001م .

ثانياً : المؤلفات

1/ إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى : دار الفكر - ط الثانية 1400هـ / 1980.
2/ أخطاء ابن تيمية : إعداد وتأليف دكتور / محمود السيد صبيح - مصر .
3/ أسئلة وأجوبة عن التصوف : الشيخ حازم نايف أبو غزالة : دار الإمام النووى - عمان - الأردن - 1412هـ / 1991م .
4/ أقطاب التصوف (السيد أحمد البدوى) : الدكتور عبد الحليم محمود : دار المعارف - القاهرة - ط الرابعة 1993م .
5/ الإعتصام : تأليف الإمام أبى إسحق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطى الشاطبى : دار ابن عفان للنشر والتوزيع - ط الأولى 1423هـ / 2003م .
6/ الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام : للإمام الحافظ الحجة أبى الفضل عبد الله الصديق الغمارى : مكتبة القاهرة - ط الأولى 1419هـ / 1998م.
7/ البداية والنهاية : تأليف أبى الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى : دار الريان للتراث - القاهرة - ط الأولى 1408هـ / 1998م .
8/ التصوف الإسلامى والإمام الشعرانى : طه عبد الباقى سرور : مطبعة نهضة مصر - 1372هـ .
9/ التصوف حكمه وأركانه وخصال أهله : تأليف عثمان السعيد الشرقاوى : النسر الذهبى للطباعة - مصر .
10/ الحاوى للفتاوى : جلال الدين أبو بكر عبد الرحمن السيوطى : دار الفكر - بيروت - لبنان - 1414هـ / 1994م .
11/ الرسالة القشيرية : أبو القاسم عبد الكريم القشيرى : تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف : مطابع مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر - القاهرة - مصر - 1409هـ / 1989م .
12/ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم : تأليف القاضى أبى الفضل عياض بن موسى اليَحْصُبِى الأندلسى : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابى الحلبى وأولاده بمصر - ط الأخيرة - 1369هـ / 1950م .

13/ الصاحبى فى فقه اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى 1418هـ / 1997م .
14/ الطبقات الكبرى : المسماة بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار : الإمام أبى المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى 1418هـ /1997م .
15/ الفتوحات المكية : الشيخ محى الدين بن عربى : دار الفكر - بيروت - لبنان - 1414هـ / 1994م .
16/ اللمع : أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى 1421هـ / 2001م .
17/ الماتريدية دراسة وتقويماً : تصنيف الدكتور أحمد بن عوض الله الحربى : دار الصميعى للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية - ط الثانية 1421هـ / 2000م .
18/ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية : الدكتور إبراهيم مدكور وآخرون : دار عمران ومطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية - ط الثالثة 1405 هـ / 1985م .
19/ المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال : أبو حامد محمد بن محمد الغزالى : مطبعة صبيح وأولاده بمصر - 1371هـ .
20/ الوصايا : لابن عربى : الشيخ الأكبر محى الدين بن عبد الله الحاتمى الطائى الأندلسى : المكتبة التوفيقية - أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين .
21/ الوهابية خطة سياسية أم دعوة دينية : محمد الأمين العمرابى : مدينة القرءان والعلوم الإسلامية - محافظة البطانة - ولاية الجزيرة - السودان .
22/ اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر : أبو المواهب عبد الوهاب الشعرانى : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى 1419هـ / 1998م .
23/ إيقاظ الهمم فى شرح الحكم : لابن عطاء السكندرى شرح العارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
24/ بحار الولاية المحمدية فى مناقب أعلام الصوفية : الدكتور جودة محمد أبو اليزيد المهدى : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط الأولى 1418هـ / 1998م .
25/ تربيتنا الروحية : الشيخ سعيد حوى : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط الخامسة 1417هـ / 1997م .
26/ جامع العلوم والحكم : زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن رجب الحنبلى : المكتبة التوفيقية بالقاهرة .
27/ جامع كرامات الأولياء : يوسف بن إسماعيل النبهانى : دار الفكر - بيروت - لبنان - 1414هـ / 1992م .
28/ حاشية رد المحتار على الدر المختار: محمد أمين بن عابدين : مطبعة مصطفى بابى الحلبى - مصر - ط الثانية 1386هـ / 1966م .

29/ حقائق عن التصوف : الشيخ عبد القادر بن عبد الله بن قاسم بن محمد ابن عيسى : مكتبة دار العرفان - حلب - سوريا - ط الخامسة 1421هـ / 1993م .
30/ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - 1416هـ / 1996م .
31/ ديوان الشافعى : الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى : تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة : دار ابن زيدون - بيروت - لبنان .
32/ سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين الذهبى : مؤسسة الرسالة - بيروت - ط الأولى 1403هـ / 1992م .
33/ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب : أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى : منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان .
34/ شرح الجردانى على الأربعين حديثاً النووية : محمد بن عبد الله الجردانى الدمياطى الشافعى : الدار السودانية للكتب - الخرطوم - ط الأولى 1414هـ / 1994م .
35/ صحيح مسلم بشرح النووى : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى 1411 هـ / 1990م .
36/ صفة الصفوة : عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى : دار الفكر - بيروت - لبنان - 1412هـ / 1992م .
37/ طبقات الصوفية : تأليف أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى : دار الكتب العلمية - بيرون - لبنان - ط الثانية 1424هـ / 2003م .
38/ عوارف المعارف : شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردى : مكتبة القاهرة - 1393هـ / 1973م .
39/ فتح البارئ شرح صحيح البخارى : الإمام الحافظ أحمد بن على ابن حجر العسقلانى : دار المعرفة - بيروت - لبنان .
40/ فوات الوفيات والذيل عليها : محمد بن شاكر الكتبى : دار صادر - بيروت - لبنان .
41/ قلادة الجواهر فى ذكر الغوث الرفاعى وأتباعه الأكابر تأليف : السيد محمد أبى الهدى أفندى الرفاعى .
42/ قواعد الأخلاق فى التصوف الإسلامى : الدكتور/ بكر السيد عبد الرازق السامرائى : دار الشئون الثقافية العامة - بغداد - 2000م .
43/ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمَّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : تأليف الإمام الشيخ إسماعيل بن محمد بن عبد الهادى العجلونى : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى 1418هـ / 1997م .
44/ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : للعلامة مصطفى بن عبد الله الجلبى والمعروف بحاجى خليفة : دار الفكر - بيروت - لبنان - 1410هـ / 1990م .
45/ لسان العرب : لابن منظور جمال الدين محمد مكرم الأنصارى : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر بالقاهرة .

46/ لطائف المنن والأخلاق فى وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق : الإمام أبو المواهب عبد الوهاب الشعرانى : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط الأولى 1420هـ / 1999م .
47/ مدرسة سيدى أحمد بن إدريس وأثرها فى السودان : الدكتور/ يحى محمد إبراهيم : دار الجيل - بيروت - لبنان - ط الأولى 1413هـ / 1993م .
48/ مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا : الناشر العلمية للنشر والتوزيع - دار البيان العربى - القاهرة - الأزهر - ط الأولى 1421هـ / 2002م
49/ مجموعة رسائل ابن عابدين : الإمام السيد محمد أمين أفندى الشهير بابن عابدين : دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان .
50/ مجموع فتاوى ابن تيمية : مطابع الرياض - السعودية 1382هـ .
51/ مختار الصحاح : محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى : دار مكتبة الهلال - بيروت - لبنان - ط الأولى 1983م .
52/ مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) : أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب بن قيم الجوزية : دار الحديث - القاهرة - مصر .
53/ مشيخة ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى : الشركة التونسية للتوزيع - 1977م .
54/ معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب : مجدى وهبه وكامل المهندس : مكتبة لبنان - بيروت - ط الثانية 1984م .
55/ معيد النعم ومبيد النقم : للشيخ الإمام قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكى : الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة - ط الثالثة 1414هـ / 1996م .
56/ مفاهيم يجب أن تصحح : السيد محمد بن علوى بن عباس المالكى المكى الحسنى : دار الأوقاف والشئون الإسلامية - دبى - 1415هـ / 1995م .
57/ مقدمة ابن خلدون : العلامة عبد الرحمن بن خلدون : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - منشورات محمد على بيضون .
58/ موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية : الشيخ عبد الحفيظ ابن ملك عبد الحق المكى : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - ط الثالثة 1421هـ /2001م .
59/ نظرات فى التصوف الإسلامى : الشيخ عبد المحمود بن الشيخ الجيلى الحفيان : شركة مطابع السودان للعملة - ط الأولى فبراير 1998م .
60/ هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس : الدكتور/ ماجد عرسان الكيلانى : مكتبة دار الاستقامة - مكة المكرمة - ط الثانية 1420هـ / 1999م .
61/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خَلِّكان : دار الثقافة - بيروت - لبنان - أغسطس 1968م .

الفهرست

الموضـــوع **رقم الصفحة**

* آية.....3
* إهداء.....4
* المقدمة.....5
* الشريعة والطريقة والحقيقة.....8
* تعريف التصوف.....17
* نشأة علم التصوف.....21
* أهمية التصوف 25
* أقوال الأئمة الأربعة في الثناء على التصوف والصوفية.....29
الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه.....29
الإمام مالك رضى الله عنه 31
الأمام الشافعى رضى الله عنه.....31
الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه 31
*أقوال مجموعة من علماء الإسلام فى الثناء على التصوف والصوفية.....33
الإمام أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى.....33
الحافظ أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله تعالى.....33
الإمام الغزالى رحمه الله تعالى 34
الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى.....34
الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى.....35
الإمام النووى رحمه الله تعالى.....35
الحافظ الذهبى رحمه الله تعالى.....35
ابن تيمية رحمه الله تعالى.....39
العلامة تاج الدين السبكى رحمه الله تعالى.....39
الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى.....40
الإمام الشاطبى رحمه الله تعالى.....41
الحافظ ابن رجب الحنبلى رحمه الله تعالى.....41
العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى.....43
الحافظ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى.....44
العلامة ابن عابدين رحمه الله تعالى.....44
الإمام حسن البنا رحمه الله تعالى.....44
* أقوال أئمة التصوف فى التمسك بالشريعة الغراء.....46
* منبع اشتقاق اسم الصوفية.....52
* صفة الصوفية ومن هم ؟.....59
* بين الصوفية وأدعياء التصوف.....62
* حكمة تعدد الطرق الصوفية 63
* دور الصوفية فى الجهاد ونشر الإسلام.....67
* دور الصوفية فى مجال العلم والمعرفة.....71
* منهج الصوفية فى الدعوة إلى الله تعالى.....75
* ملحق الأعلام.....80
* المصادر والمراجع.....97
* الفهرست.....102

نبذة عن المؤلف

الإسم : الشيخ / أحمد بن الشيخ / دفع الله الصائم ديمه .
الميلاد : ١٩٨٢ م السودان ـ مدينة أم درمان .

المراحل التعليمية :

* حفظ القرآن الكريم وله من العمر ١١ عاما بمسيد والده المقر الرئيس بأم بده الحارة الرابعة (أم درمان) .
* تلقى دروسا فى التفسير والحديث الشريف والفقه والسيرة النبوية ، وذلك بمسيد والده أيضًا .
* عمل بتدريس القرآن بخلوة والده حتى تم تنصيبه بالخلافة .

خلافته : نصب فى مقام والده خلفًا له عام ١٩٩٧م .

أعماله :

* له مؤلفات علمية جمعها فى ما سماه : (سلسلة بيان المنهج الصوفى فى الدعوة إلى الله تعالى) طبع منها الكتب التالية : ١ـ القول الصحيح فى مشروعية المديح ٢ـ النجوم الزاهرة فى جواز الاحتفال بمولد سيد الدنيا والآخرة ٣ـ هذا الكتاب الذى بين أيدينا ، ومنها ما هو قيد الجمع والطبع ، مثل : ١ـ التحقيق فى أفعال أهل الطريق ٢ـ الأدب الرفيع فى ذكر السيادة عند اسم النبى صلى الله عليه وسلم ذى القدر الرفيع .
* يقيم بين الحين والآخر حلقة دروس دينية بمسيده ، بالإضافة إلى قيامه بالإرشاد الصوفى .
* له مجموعة من المدائح النبوية وقصائد القوم الصوفية فى كتاب يسمى : (ديوان العُبَّاد فى مدح خير العِباد) .

ومن هذه المدائح والقصائد ما طبع فى ألبومات كاسيت وهى : ١ـ المكسى بالأنوار ٢ـ النسايم زادن ٣ـ الجوهر المكنون ٤ـ سلامى يفوق .

* امتدت نفحة تسليكه الطريق إلى مريدين كثر داخل السودان كما أن له مريدين منتشرين فى بقاع العالم المختلفة .
* وقد سار على نهج والده فى إنشاء المساجد وتعميرها حسًا ومعنى .